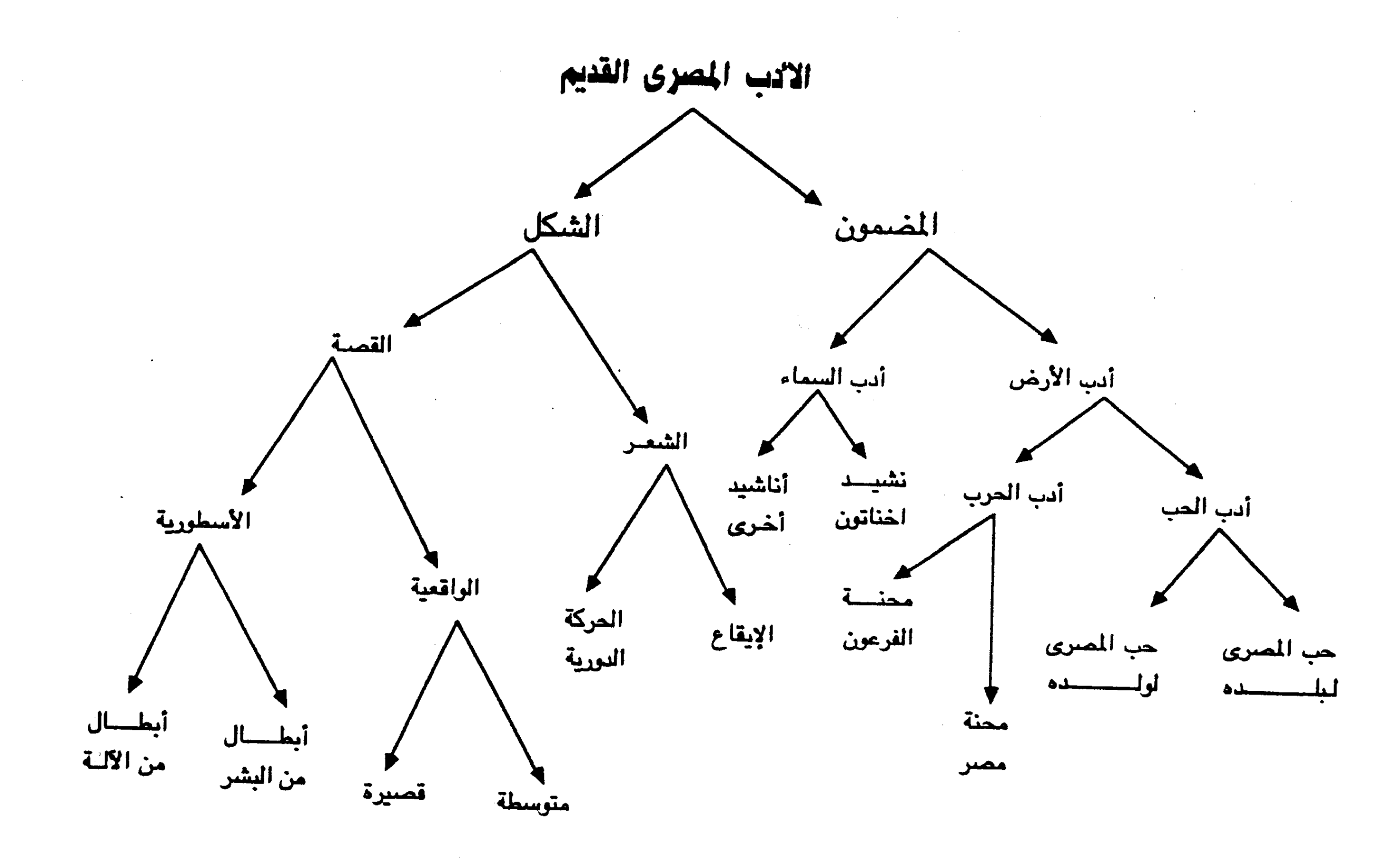
دكتور
صلاح عيد

المضمون والشكل
فى
الأدب المصرى القديم

1991

الفهـرس



الأدب المصرى القديم
المضمون
الشكل
أدب الأرض
أدب السماء
القصة
الشعر
أدب الحب
أدب الحرب
نشيد اخناتون
أناشيد أخرى
الإيقاع
الحركة الدورية
الواقعية
الأسطورية
حب المصرى لبلده
حب المصرى لولده
محنة مصر
محنة الفرعون
متوسطة
قصيرة
أبطال من البشر
أبطال من الآلهة

إطلالة عامة :

تمتعت مصر القديمة بجناحين عظيمين للعلم والأدب ، ففى جناح العلم بلغت ذروة عليا فى الإنجازات العقلية ممثلة فى النسبة التقريبية ومساحة الدائرة ، والمثلث الذهبى قائم الزواية وحجم الهرم الناقص ، والهندسة الفلكية ، وغيرها من الانجازات التى تقف على ذروة الإبداع فى جميع العصور ولا تقارن بها – من حيث المستوى – إلا الإبداعات العلمية الرياضية التى توصلت إليها أوربا الغربية منذ القرن السابع عشر الميلادى فى ظاهرة الجاذبية والظاهرة الكهرومغناطيسية أو عجله جاليليو وقانون كبلر الثالث ، وقانون ماكسويل الذى كشف عن الضوء باعتباره ظاهرة كهرومغناطسية .

وفى الأدب لا تقل إنجازات مصر من حيث القيمة عن مستواها الراقى فى العلم وذلك فى الشعر والقصة بأنواعها ، وهذا ما سنتعرف عليه من خلال دراستنا للمضمون والشكل فى الادب المصرى القديم .

لقد قام رجال التاريخ بدورهم المحمود فى تقديم هذا الأدب حين خصص الدكتور سليم حسن كتابا لأدب الفراعنة تكمن قيمته فى إيراده لنصوص هذا الادب بشكل كامل ودقيق ، وبذلك قدم للباحثين الماده الخام لدرس هذا الأدب ، وخصص الدكتور محمد بيومى مهران كتابا لأدب مصر القديمة وعلمها ، وبين هذين الكتابين وقف المؤرخون وقفات تفاوتت طولا وقصرا أمام أدب مصر القديمة .

والان جاء دور أهل الأدب من أجل أن يظفر الأدب المصرى القديم بما هو

جدير به من تحليل ونقد وتقييم لنصوصه ولمقارنته بغيره من الآداب ، ولعل هذه الدراسة تكون بداية طيبة لدور رجال الأدب من مختلف اللغات بما فيها اللغة العربية لدرس هذا الأدب وأهل الأدب العربى واللغة العربية هم فى الواقع أولى الناس بالتوفر على درس الأدب المصرى القديم ، وإعطائه ما هو جدير بمكانته وقيمته من أهتمام لسبب جوهرى جدا هو أن اللغة العربية تشترك مع اللغة المصرية القديمة فى مجموعة من الخصائص الهامة بل الأساسية هى أن عددا لا يستهان به من حروف اللغة العربية هى نفسها الحروف التى تطورت إليها لغة مصر القديمة عبر أطوارها الأربعة المعروفة وهى الهيروغليفية والهيراطيقية والديموطيقية والقبطية ، ومن هذه الحروف الألف والباء والراء والسين والطاء والعين والفاء واللام والميم والنون والهاء والواو ، وتشترك العربية أيضا مع المصرية فى التثنية ، وواو الجماعة ، وهاء التنبيه كما تتقارب صيغة المبنى للمجهول فى اللغتين ، وهناك ماهو أخطر من ذلك وأهم وهو اشتراك الأدبين فى الشعر المكون من شطرين متقابلين ذلك الذى ينعطف الشطر الأيسر فيه دلاليا نحو الشطر الأيمن فيما بقى لنا عن شعر الدولة الحديثة وهى الظاهرة التى سنبرزها فى القسم الثانى من هذه الدراسة ، يضاف إلى ذلك اشتراك الشعر المصرى القديم والعربى فى الاهتمام بالجانب الغنائى أو الذاتى الذى لم يشغل ، إلا حيزا صغيرا جدا فى الأدب اليونانى .

من أجل ذلك يقع على عاتق أهل الأدب العربى مسئولية خاصة لدرس وتحليل الأدب المصرى القديم بسبب هذه الروابط العميقة بين اللغتين والأدبين ، والحق أنه شغلتنى منذ سنوات طويلة قضية التعرف على أصل الشعر العربى

لأنه ليس من اليسير أن نجد الشعر العربى فنا ناضجا كاملا قبل ظهور الإسلام بنحو قرن ونصف دون أن نعرف شيئا عن أوليته وأصله ، ولاشك أنها ظاهرة استوقفت كل دارس للأدب العربى ، ومنذ أن عرفت مايربط بين اللغتين المصرية القديمة والعربية من خصائص أساسية مشتركة ، وأنا اعتقد ، أنه يمكننا العثور على تفسير ما لأولية الشعر العربى ، ولجذور شجرته فى الأدب المصرى القديم ولهذا رأيت أن درس اللغة المصرية القديمة والأدب المصرى القديم هو أداة من أدوات درس الأدب العربى .

وإذا كان العلم والأدب اليونانيين قد أخذا يعترفان بانتمائهما إلى الجذور المصرية القديمة ، فقد أخذت تتلاشى بالتدريج أمام الحقائق التاريخية تلك الفكرة التى شاعت ورسخت طويلا وهى أن العلم والأدب إنما بدآ فى اليونان القديمة . وأخذت مصر القديمة تحتل مكان البداية والنشأه لكثير من النظريات الهندسية والأعمال الأدبية ، حتى إن كبلر صاحب أعظم عقلية رياضية فى تاريخ الحضارة الأوربية كلها يعترف صراحة وهو يعلن قانونه الثالث فى المجموعة الشمسية أنه قد سرق التماثيل الذهبية المصرية ليبنى معبدا لربه بعيدا عن الأرض المصرية ، ويذكر أنه باعترافه هذا إنما ينتصر على الجنس البشرى كله !

إذا كان الأمر كذلك فيما يختص بالحضارة اليونانية وامتدادها الحديث فى أوربا فإن رؤية الجذور المصرية فى سرحة الشعر العربى لا تبدو شيئا غريبا خاصة وأن ماتمتع به الشعر العربى من غنى موسيقى هائل إنما يتطلب حياة موسيقية بالغة الثراء ، وهو ما كانت تتمتع به مصر القديمة ، ومن الثابت

تاريخيا أن المغنى المصرى القديم " سكرويس " هو الذى أدخل العود ذا الرقبة الطويلة إلى الجزيرة العربية .

وفى موسيقى الشعر العربى بحور لا يمكن إلا أن تكون نابعة من حضارة موسيقية راقية جدا ، مثل بحر المتقارب : فعولن فعولن فعولن فعل الذى هو "مارش " عسكرى بكل المقاييس ، ومثل بحر الكامل متفاعلن متفاعلن متفاعلن الذى هو دقات لطبول الحرب ، ومثل بحر البسيط الراقص .

من أجل هذا كله فأنا اعتبر هذه الدراسة للأدب المصرى القديم امتدادا لدراسة الأدب العربى فى العمق التاريخى !

ولعل أفضل وسيلة لرسم صورة دقيقة للأدب المصرى القديم هوتقسيمه إلى الجانبين التقـليـديين جانب المضمون وجانب الشكـل ، وفى جانب المضمون فإن المـرأة المحبـوبة إذا كانت قد احتلت مركز الصداره فى آداب العالم القديم والوسيط والحـديث فإن المحبوبة التى احتلت مركـز الصداره فى الأدب المصرى القديم هى مصر ، وأعظم الأعمال الأدبية المصـرية القديمة كانت مصر محورها ، وخاصة فى أوقات محنتها ، ومن هذه الأعمال كلمات الحكيم ايبور ، والفلاح الفصيح ، واليائس من الحياة ، وسنوهى ، ثم هناك مستوى آخر للحياة هو الحياة فى الأبناء ، وإليه ينصرف كل أدب النصائح الذى وجهة الآباء إلى أبنائهم ، عندما يشعر هولاء الآباء بقرب نهاية حياتهم ، ويريدون أن يمنحوا أبناءهـم خلاصة تجاربهم فى الحياة سواء كان هؤلاء الآباء ملوكا أو وزراء أو من عامه الناس ، مثل تعاليم بتاح حوتب وخيتى بن دواوف لابنه بيبى والحكيم آنى وامنؤوبى ، والإرشادات الموجهة إلى الملك مريكارع وتعاليم الملك امنمحات

لابنه سنوسرت .

وعشق المصرى للحياة فى بلده وولده أو لحياته فى مصر وحياة امتداده النوعى فيها بما فى ذلك دفاعه عنها ضد المهاجمين لها من جيرانها كل هذا يضمه أدب الأرض ، أو أدب الحب والحرب الذى يقابله أدب السماء وفيه يتجلى عشق المصرى لشمس مصر الساطعة ، هذا العشق الذى بلغ حد العبادة، فالشمس هى مصدر الحياة ، والهها رع هو خالق الوجود كله ، والأناشيد الدينية المصرية هى تمجيد وحمد لشمس مصر المشرقة ، أو لرع الذى يهب الخيرات ومباهج الحياة لأهل مصر وللبلاد التى فتحتها مصر فى الدولة القديمة والحديثة من أعلى دجلة والفرات شمالا حتى الشلال الثانى ثم الرابع بالسودان جنوبا ، فأدب مصر الدينى هو أيضا عشق للحياة فى مصر وتمجيد لواهبها المشرق فى رحلتة اليومية فى السماء ، ولكل ما وهبه للأحياء جميعا من نعم ومباهج وخيرات من العشب الأخضر إلى الماشية ، إلى السمك فى الماء ، إلى الطيور فى الجو ، إلى الفاكهة على الاشجار ! .

وكل شى يدل على أن المصرى نفر من الموت نفورا شديدا ، وعمل على تجاوزه بالتحنيط ، وبالعقيدة التى ترى أن الميت إنما يرحل من حياة أولى إلى حياة ثانية ، يتمتع فيها بمباهج وأطايب الحياة فى مصر فى ظل الشمس المشرقة الساطعة ..

لقد بدأت الديانة المصرية بعبادة رع إله الشمس ، وبعد أن اجتازت مرحلة الصراع بين تعدد الآلهة برئاسة رع لهم فى ديانه آمون رع وبين انفراده بالسلطة المطلقة والوحدانية التامة فى خلق الوجود والتصرف فيه فى ديانة

اخناتون، بعد ذلك عاد القوم إلى رع . وقد ترك مذهب الوحدانية أثره على عبادتهم ونظرتهم للإله رع فى الدولة الحديثة .

وعلى الجملة يمكننا القول إن مضمون الأدب المصرى القديم هو فى كلمة واحدة: عشق الحياة فى مصر ، فى حياته الأولى ، وحياته الأخرى ، ، التى ليست إلا امتداد لحياته الأولى .. إنه أدب يشمل أرض مصر الخيرة المعطاء ، وسماءها الصافية بشمسها المشرقه ، وإن اشتدت حرارته فى الأيام الحزينة التى استغرقت معظم عهد الدولة الوسطى .

فإذا تجاوزنا المضمون فى إطلالتنا المبدئية هذه على الأدب المصرى القديم إلى الشكل فى العنصرين الرئيسين للأدب من شعر وقصة لم نستطع أن نتبين النمط النغمى للشعر إلا أن الذى يبدو مؤكدا هو أن هذا الشعر لايخلو من الحركة الدورية التى تتمثل فى التكرار الدورى لكلمات بعينها فى بداية الأبيات ، كما نرى فى أناشيد الحكيم إيبوور واليائس من حياته ، فالإيقاع والحركة الدورية موجودان فى الشعر المصرى القديم ، وهما عنصران رئيسيان فى فن الشعر ، كما أن الشعر المصرى وصل إلى مرحلة الشطرين المتقابلين اللذين تتحقق بينهما دورة الدلاله فى حكم أمنموبى فى الدولة الحديثة .

فإذا انتقلنا إلى القصة أمكننا تقسيمها إلى قصص خرافية أو أساطير مثل أسطورة أوزير وست وأسطورة حور والعقارب السبع ، وأسطورة الصراع بين حور وست وأسطورة هلاك البشرية وانقاذها ، وحيلة ايزه ، ومولد حتسبشوت إلالهى .

وهناك قصص واقعية مثل مثل قصة سنوحى ، وقصة ون أمون ، والفلاح الفصيح ، ومما يدهش له أن المصرى القديم عرف فى أدبه تلك الأنواع التى نعتبرها نحن أنواعا حديثة كالقصة القصيرة فى . الزوجة الخائنة ، وسنفرو وفتيات القصر ، وخوفو والساحر جدى ، وإن أدخلت عناصر أسطورية على هذه القصص .

وقد توفرت للقصة المصرية القديمة كل عناصر القصة الفنية من تصوير للمواقف والأحداث والحالة النفسية مما نجده بوضوح فى قصة سنوهى وون أمون ، والفلاح الفصيح .

بعد هذه الإطلالة على خريطة الأدب المصرى القديم نأخذ الآن فى الجانب الأول من جانب المضمون ثم جانب الشكل فى ادب مصر القديمة .

جانب المضمون

لم يعرف هذا الأدب حرارة الحب ولوعاته ، تلك التى عرفتها الآداب الأخرى قديمها ، وحديثها كالأدب اليونانى القديم ، والأدب العربى ، وأدب عصر النهضة الأوربية ، لسبب بسيط هو أن المصرى القديم – فيما يبدو لنا – لم يعان لوعة الحب ، فالمرأة المصرية كانت حانية عليه حنو الطبيعة المصرية ، فليس هناك أعاصير تقتلع منزله وتتركه مشردا ، وليس هناك جو مكفهر بالغيوم ، وإنما هناك الشمس المشرقه والأفق الباسم والأرض السهلة التى لا وعورة فيها ، وهناك المرأة المصرية التى كانت زوجة كريمة جميلة . والزوج المصرى القديم – كما يذكر جوستاف لوبون – محاط فى بيته بعدد من الفتيات الجميلات يقمن على خدمته ، وهو يزعم أن الزوجة المصرية لم يكن لديها مانع من اتخاذه خليلات منهن [1] ، ولهذا خلا الأدب المصرى القديم من لوعات الحب وعذاباته وصرخات الشعراء المحبين المعذبين التى ملأت الأدب العربى واليونانى القديم . وربما كان أقصى ما وصل إلينا من أغانى الحب التى يشكو فيها المحب مايجده من أسى وعذاب ، مقطوعة يذكر فيها الشاعر أن حبيبته مضت منذ سبعة أيام ، لكنه يذكر مع ذلك أن رسولها يأتى لينعش قلبه ، فالمحبوبة المصرية القديمة تظل رقيقة بحِبها حتى وهى غائبة عنه فلا تنفك تراسله ، ونراه يقول :

سبعة أيام حتى أمس لم أر فيها أختى (حبيبتى) .

تملكنى الداء وثقلت أطرافى ، وصرت أنسى نفسى .

وإذا عاودنى الأطباء لا يرتاح قلبى إلى علاجهم .

---

(١) جوستاف لوبون : الحضارة المصرية القديمة : ٧٣

إذا عادنى مهرة السحرة فمرضى لايستجيب لسحرهم .

إن ما يحيينى هو أن يقولوا إلى إنها هنا ، فاسمها هو منقذى .

إن رسولها يأتى ويذهب لينعش قلبى

إن حضورها هو تعويذتى

لو نظرت لى اخضر جسمى واشتد ساعدى

حديثها يقوينى وحضنها ينعشنى

ولكنها مضت منذ سبعة أيام !

وفى مقابل ذلك نجد قصائد الهناء فى الحب فى مثل المقطوعة التالية :

حبيبتى درة فريدة لا مثيل لها فى حسنها

هى أكثر جمالا من كل النساء

إنها كنجمة الزهراء فى مطلع العام السعيد

ضياؤها ساطع وبشرتها وضاءة

جميلة العينين حين تنظر ، عذبه الشفة حين تتحدث

تتلكأ على شفتيها الكلمات المحرضة

طويلة العنق ، شعرها أسود فاحم

إلى آخر هذه الأوصاف المشرقة التى يتلألأ فى ثناياها بريق السعادة بالحب الصادق ، وتنم عن حياة سعيدة هانئة ينعم بها العاشق المصرى القديم خلافا للعشاق القدامى فى مختلف الآداب الأخرى الذين ترتفع صرخاتهم من

ألم الحب وهجر المحبوبة وقسوتها فى ادب النهضة الأوربية حيث تزوجت باتريشيا من رجل ثرى وتركت دانتى المسكين هائما شريدا على وجهه يكتب كوميدياه التى تخيل فيها باتريشيا بعد وفاتها وقد صحبته فى رحلته التى أبدع وصفها فى العالم الآخر .. قصص مأساوية نراها فى ادب المشرق العربى فى ليلى والمجنون وغيرها كثير من مآسى الحب ، وفى المغرب العربى فى مأساه الشاعر ابن زيدون وولاده ، و فيما قبل ذلك المقدمات الطللية فى الشعر الجاهلى التى تعبر عن ألم الفراق الدائم بين المحبين .

ونعود إلى قصائد الحب المصرية القديمة لنرى المرأة المصرية القديمة وهى تكتب بنفسها أشعار الغزل مما لا نكاد نجد له مثيلا فى الآداب الآخرى ، تقول :

حبيبى .. قلبى يتمنى حبك

وكل ماتفكر فيه هو لك

انظر ماذا فعلت

جئت أصطاد بشرك فى يدى

تهبط طيور بونت محملة بالطيب فى مصر

وأول طائر يهبط يأكل طعمى

وأظافره فيها عبير

لكم أود أن نطلقها معا

وحيدة أنا بجوارك

حتى تسمع صيحات طائرى المعطر

كم يحلو لى أن تكون معى وأنا انصب الشرك

فما أطيب الذهاب للمرج مع المحبوب

ثم تقول

آه .. أدار حبك رأسى

الأوز البرى يطير ويهبط جميعا

وهاهى الطيور ، ولكنها لا تهمنى

فلدى حبك ، لى أنا وحدى

وقلبى يوائم قلبك تماما ، ولن أبعد عن جمالك

ياحبيبى يتوقف قلبى فى الكعك اللذيذا أمامى

ولكن مذاقه كالملح فى فمى

الشراب الذى كان حلوا له الآن طعم مرارة الصبر

عبير أنفاسك هو ما يحيى قلبى

يا أجمل كل الناس .. كم أود أن أشاركك بيتك زوجة لك ، كى تضع على ذراعى ذرعك

ولكنك أدرت عنى حبك

أقول لقلبى بداخلى

غاب عنى حبيبى هذه الليلة

وأصبحت كمن فى القبر

ألست أنت الصحة والحياة

الا تأتى ومعك الفرح .. ألا تهمك صحة قلبى؟

وهناك قصيدة أخرى كتبتها المرأة المصرية القديمة معبرةً عن حبها وحنانها واخلاصها لزوجها وتفانيها فى خدمته :

حبيبى .. دواء عينى .. رؤياك نور عينى

أسكن بجوارك هادئة لأنى أرى حبك

يا من تسكن قلبى ، يا أعظم الرجال

بالهناء ساعتى التى أرتاح فيها معك

آه لودامت الساعة الدهر كله

أنت حياة قلبى ، ولكننى حزينة فقد تهجرنى

أنا حبيبتك الأولى .. حديقتك

زرعت فيها الزهور ، والنباتات ذات العبير

يصفو جدولها الذى حفرته يداك

حين تهب ريح الشمال المنعشة.

فهو المكان الجميل الذى اتنزه فيه ، وعلى يدى يدك

جسدى مستريح وقلبى منتعش

عندما نسير معا ، عذب أن أصغى لصوتك

وأنا أحيا لأنى أسمعه

عندما أراك .. كل نظرة

أطيب لى من أى طعام أو شراب

عندما تعود منتشيا وتنام على سريرك أمسح قدميك
فالصحة والحياة عند ترجع ..

مصر المحبوبة الوحيدة .

من أجل هذا انعدمت أو كادت حرارة الحب وصرخات اللوعة من آلام الهجر وعذابات المحبين فى الأدب المصرى القديم ، والمحبوبة التى تعلقت بها صرخات الأسى هى مصر - كما ذكرنا - سواء كان المصرى داخلها أو خارجها . وترتفع هذه الأنات فى أوقات المحن التى مرت بها مصر ، ولهذا فأنا اعتبر ما أثر عن الحكيم إبيوور ، واليائس من الحياة ، ونفرتى ، والقروى الفصيح وون آمون ، وكذلك سنوحى قصائد وقصص الحب واللوعة والأسى لما أصاب مصر . وكذلك الحنين إليها عندما يبتعد المصرى عنها ، والحق أن كل نص من هذه النصوص الأدبية هو من الغنى والروعة بحيث يتطلب بحثا تحليليا كاملا يكشف عن جوانبه وأعماقه ، وإن كنا هنا فى استعراضنا الشامل للأدب المصرى سنلم به إلماما سريعا ، ريثما نفرد لكل نص باذن الله درسا خاصا به فى المستقبل .

وتشترك النصوص السابقة كلها فى أنها كانت وليدة المحن التى مرت بها مصر ، وخاصة بعد عصر الدولة القديمة إبان وبعد الثورة الاجتماعية التى قلبت الهرم الاجتماعى فى مصر رأسا على عقب ، وديست أثناءها كل المقدسات والقيم والنظم ، ونهبت الأهرام ، ونهبت ممتلكات الأغنياء وكبار القوم ، وهاجم العامة قاعات المحاكم ، ومزقوا سجلاتها وسجلات الحكومة ، ومشوا فيها جيئة وذهابا ، وانعدم الأمن حتى ليخرج الرجل إلى حقله وهو حامل لدرعه ، وعم القحط والبؤس ، وسادت عصابات القتل والنهب فى طول البلاد وعرضها ، وساء حال الأسر الطيبة ، وانتشر الغوغاء فى كل مكان ، ويعد نص الحكيم ايبوور أهم النصوص التى صورت هذه الحال المحزنه التى أصابت مصر على يد أهلها

وتشترك معها بردية اليائس من الحياة ونبوءة نفرتى وإن كانت قد أضافت شيئا من الأمل بظهور حاكم قوى بعيد إلى البلاد نظامها وسعادتها.

وعلينا ونحن نقرأ هذا الأدب الحزين الباكى أنتذكر أنه وليد عهد الدولة الوسطى بين الأسرة السادسة والثامنة عشرة ، هذا العهد الطويل الذى شهد فى بدايته الحرب الأهلية المصرية المحزنة وعودة مصر إلى الانقسام على نفسها وفقدانها لممتلكاتها فى آسيا وأفريقيا وحكم الهكسوس لها .

بردية الحكم ايبوور:

يشتمل نص الحكيم ايبوور على فقرات نثرية وست قصائد شعرية ، يصور فيها حالة مصر المحزنه تصويرا عميقا مؤثرا ، وقد ألقى هذا الحكيم قصائده أمام فرعون مصر فى ذلك الوقت الذى يكاد يجمع المؤرخون على إنه ببيى الثانى [1] متهما إياه إنه كان سببا لما حاق بالبلاد من مصائب لأن من حوله كانوا يحجبون الحقائق عنه ، وأن الأكاذيب كانت تتلى عليه ، بل يصل الأمر بهذا الحكيم إلى أن يتمنى أن يذوق الملك نفسه شيئا من البؤس الذى غرق فيه الناس ويبدأ ايبوور قصيدته الأولى بقوله :

حقا لقد شحب الوجه ، والأجداد قد تنبأوا ..

حقا فإن البلاد ملأى بالعصابات ويذهب الرجل ليحرث ومعه درعه

حقا فإن الوجه قد شحب ، وحامل الترس أصبح مستعدا ، والمجرمون فى كل مكان ولايوجد رجل من رجال الأمس..

حقا إن النيل فى وقت الفيضان ، ومع ذلك لا يحرث أحد من أجله

وكل انسان يقول : لانعرف ماحدث فى أنحاء البلاد .

حقا لقد أصبح المعوزون يمتلكون أشياء جميلة ، ومن كان يخصف نعليه فيما مضى أصبح صاحب ثروة !

حقا إن القلب لثائر ، والوباء انبث فى كل أرض ،

---

(١) محمد بيومى مهران : الحضارة المصرية القديمة : ١/ ٢٨٧

والدم صار فى كل مكان ،

ولفائف المومياء تتكلم وإن لم يقترب منها انسان !

حقا لقد دفن رجال عديدون فى النهر فأصبح النهر قبرا وصار المكان الطاهر [1] مجرى .

حقا لقد أصبح منظر الناس كمنظر طير جم والقاذورات انتشرت فى كل مكان ، ولا يوجد امرؤ بملابس بيضاء فى هذا الوقت .

حقا لقد أصبحت الأرض كعجلة صانع الفخار وصار اللص صاحب ثروة

حقا لقد تحول النهر دما فهل يشرب الأنسان منه ؟ إنه يعانى بوصفه أدميا

حقا إن البوابات والعمد والجدران قد التهمتها النيران

حقا لقد أصبحت التماسيح فى تخمة بما قد سلبت ، إنما يذهب الناس إليها عن طيب خاطر وحالة البلاد أصبحت سيئة

حقا لقد أصبح الناس قليلين ، على أن من يدفن أخاه فى الأرض يرى فى كل مكان ، وبعد أن يتكلم المرتل يهرب على الفور .

حقا لقد أصبحت الأرض الحمراء منتشرة فى كل البلاد ، وخربت المنازل ونزل قوم أغراب من الخارج إلى مصر

حقا إن الذهب واللازورد والفضة والياقوت والكونيليان والبرنز والمرمر تحلى جيد الجوارى ، والسيدات النبيلات يمشين فى طول البلاد وربات الخدور

(١) مكان التحنيط

يقلن ليت عندنا بعض الشىء لناكل !

وهذا الذى أوردته الأن هو جزء فقط من القصيدة الأولى لكنه يصور لنا تصويرا عميقا مؤثرا حال مصر فى هذه الأيام البائسة الحزينة التى انقلب فيها النظام إلى فوضى شاملة منذ الأسرة السادسة ، والأن استعيد أحداثا مشابهة فى تاريخ مصر الحديث منها حرق القاهرة ، والثورات التى خرج فيها المصريون يحطمون السيارت والحوانيت لأربط الماضى بالحاضر ولأدعو إلى تفهم نفسية الشعب المصرى والتركيز على التربية فى تدعيم مفاهيم احترام النظام الذى بدونه يخيم الفقر والشقاء والبؤس والعدم أو ما هو قريب من العدم .

لقد صور ايبوور الوضع فى مصر إبان هذه الثورة العارمة تصويرا رهيبا لم يقتصر على الناحية المادية بل تجاوزها إلى القيم الخلقية بقوله :

انظر لقد قل الود ، وانقطع الرجاء وانعدمت الرحمة ، وفقدت المروءة حتى لقد أصبح المرء لا يتورع عن قتل اخيه ..

انظر : لقد سلبت قاعة المحكمة الفاخرة وأصبح المكان السرى مكشوفا

انظر : لقد فتحت الإدارات العامة ونهبت قوانينها وسلبت كشوف الإحصاء واتلفت سجلات كتبة المحاصيل ..

ويلوم الحكيم إيبوور نفسه لوما شديدا قاسيا محملا إياها نصيبها من الوزر حين سكت عن الشر وهو فى أوله قائلا : ليتنى رفعت صوتى فى ذلك الوقت حتى أنقذ نفسى من الألم الذى أنا فيه فالويل لى ، لأن البؤس عم فى هذا الزمان . ويلقى هذا الحكيم اللوم على مليكه فى حضرته كما ذكرنا قائلا :

لديك الحكمة والبصيرة والعدل

ومع ذلك تترك الاضطرابات وضوضاء المتعاركين تنتشر فى البلاد،

انظر إليهم إن كل واحد منهم يضرب الآخر ولا يعبأ بالأوامر ..

لقد كذبوا عليك ، فالبلاد تشتعل كالقش ، والناس على شفا الهلاك ، وهذه كلها سنوات حرب أهليه ، فالرجل يقتل على سطح منزله حين يكون مراقبا فى حدود بيته ، ولكنه إن كان قويا فانه ينجى نفسه بنفسه ويبقى حيا .

ولا ينسى هذا الحكيم فى آخر الأمر أن يضىء ولو شمعة ضئيلة للأمل فى آخر قصائده أو قصيدته الكبرى ، فيقول وهو ينظر إلى المستقبل :

على أنه من الخير أن تسير السفن متجهة نحو الجنوب

على أنه من الخير أن تنصب الشباك وتمسك الطيور

على أنه من الخير أن تبنى أيدى الرجال الأهرام ، وتحفر البرك ، وتقام للآلهة مزارع فيها أشجار

على أنه من الخير أن يبدو الفرح فى أفواه الناس

على أنه من الخير أن يهيأ لكل إنسان سرير خلف باب مغلق فلا يحتاج إلى النوم فى الأعشاب !

وتحتوى البردية على حوار قصير بين الملك والحكيم يحاول الأول تبرئة نفسه مما حدث للبلاد فى عهده . وسوف نتناول التركيب الفنى الدورى لهذه القصيدة وغيرها فى القسم الثانى من هذه البحث باذن الله

بردية اليائس من الحياة

تشترك هذه البردية مع بردية الحكيم ايبوور فى أنها تصور سوء الحال فى مصر إبان الثورة الاجتماعية الأولى . وإذا كانت بردية إيبوور تتوجة إلى ملك مصر ويقيم معه هذا الحكيم حوار قصيرا فى نهايتها يحاول الملك فيه أن يبرئ نفسه من تهمة التقصير فى حفظ النظام كما ذكرنا منذ قليل ، فإن هذه البردية تقيم حوارا أدبيا فريدا بين إنسان يائس من الحياة وبين روحه هو ، إنه يرغب فى الانتحار وانهاء حياته فى هذه الأيام المظلمة من تاريخ مصر ، وروحه تعارضه وتحبب له الحياة ، وتبعث فيه كراهية الموت .

يقول « نسو » صاحب هذه البردية :

إن اسمى أصبح كريها أكثر من رائحة اللحم النتن فى أيام الصيف والسماء حارة

إن اسمى كريه أكثر من رائحة الطيور ، وأشد من تل صفصاف مزدحم بالأوز

ثم يقول فى القصيدة الثانية :

لمن أتحدث اليوم ؟ لقد أصبح الرفاق أشرارا ، وأصدقاء اليوم غير جديرين بالحب

لمن أتحدث اليوم فالناس يسرقون ، وكل امرئ يغتال متاع جاره

لمن أتحدث اليوم ؟ وقد استحال الرجل الطيب إلى شرير ، والخير مكروه فى كل مكان

لمن أتحدث اليوم؟ وما عاد أحد يذكر الماضى ، ولا معونة لأحد فى هذه الأيام

لمن أتحدث اليوم وليس هناك عدول والأرض قد تسلمها الظالمون .

ثم يعبر عن رغبة فى الموت قائلا :

الموت أمامى اليوم يبدو كالبرء للسقيم والخروج إلى الفضاء بعد حجز .

الموت أمامى اليوم كرائحة اللوتس تخدرنى كما لوكنت جالسًا على شاطىء الانشراح .

الموت أمامى اليوم كالسماء عندما تصفو ، وكحصول المرء على ما لم يكن يتوقعه .

الموت أمامى اليوم كشوق الرجل إلى بيته بعد قضاء سنين طوالا فى الأسر والعناء .

وهذه وثيقة ادبية أخرى تنسب أيضا إلى الدولة الوسطى وتصور نفس الحالة التى صورها إيبوور ونسو أو اليائس من الحياة وتعرف بشكوى خعخبر رع سنب ، ورع سنب هنا لايحاور أو يخاطب الملك كما فعل إيبوور ، ولا يخاطب روحه كما نفعل نسو وإنما يخاطب قلبه قائلا : تعال إذن لأتكلم إليك ياقلبى لتجيبنى عن كلامى ، ولتفسر لى ما هو كائن فى الأرض ، لأنى أفكر فيما حدث

إن المصائب تقع اليوم ، ومصائب الغد لم تأت بعد ، فكل الناس لاهون عن الغد مع أن كل البلاد فى اضطراب عظيم ، وليس إنسان خاليا من الضر فإنه يصيب جميع الناس على السواء ، والقلوب بالحزن مفعمة ، فالآمر والمأمور صارا سواسية ، وقلب كل منهما راض ، والناس على الضر يستيقظون صباح كل يوم ولكن القلوب لاتنبذه ، ولايوجد إنسان عاقل يدرك ولا إنسان غاضب يتكلم والناس تستيقظ فى الصباح كل يوم لتتألم وإن مرضى لثقيل وطويل

وإنه لمؤلم أن يستمر الإنسان صامتا عن الأشياء التى يسمعها

شكاوى الفلاح الفصيح

وننتقل الآن إلى شكاوى الفلاح الفصيح ، وهى شكاوى تصور محنة مصر اكثر من المحنة التى تعرض لها هذا الفلاح ، وإن كان ما تعرض له جزء لا يتجزا من اضطراب الأحوال فى مصر فى عهد الملك خيتى أحد ملوك هيرا كليو بوليس (أهناس المدينة) فى نهاية الألف الثالثة قبل الميلاد ، وتعود الروعة فى الشكاوى التسع التى قدمها هذا الفلاح ، واسمه خنوم أنوب ، إلى أنه إنما عرض للفساد فى أحوال البلاد وحاول إصلاحه من خلال حالته هو ، هذا هو أهم اسباب خلود هذه الشكاوى . وأهميتها بالإضافة بطبيعة الحال لعرضه هذه الشكاوى بأسلوب أدبى بليغ مشبع بالاستعارت الأدبية الرائعة ..

وقصة هذا الفلاح هى أنه كلف زوجته أن تصنع له عدة مكاييل من القمح خبزًا وجعة تكون زادا له فى سفره وتحتفظ بما يكفيها وأطفالهما من القمح عدة أيام ريثما يمضى هو ليبيع على حميره فى العاصمة أهناسيا أحمالا من الملح ، وجلود الفهود ، وفرو الذئاب ، واليمام والطيور ، وبعض الأحجار والنباتات كأحجار سنوت ونبات هوت وميسوت وغيرها ، وبينما هو فى طريقه احتال موظف شرير اسمه تحوت نخت فى ضيعة لكبير حجاب القصر الملكى رنسى بن مرو ، واستولى تحوت على حمير الفلاح وما تحمله ، وعبثا حاول الرجل استراد ماله من تحوت ، فتوجه بشكواه إلى رنسى بن مرو الدى عرضها على القضاة لكن هؤلاء يقفوا مع الفلاح المسكين ، وبيت رنسى بن مرو وفى نفسه أمرا وعرض قصة هذا الفلاح البليغ ساحر البيان على الفرعون نفسه الذى دعاه إلى الاستزاده من شكاواه ، وأن يوكل إلى أحد أصدقائه رعاية هذا الفلاح ، وإمداده

بما يحتاج إليه ، وكذلك ماتحتاج إليه أسرته دون أن يدرى بذلك حتى يستمر فى الشكوى بأسلوبه الرائع البديع ، وهكذا استمرت شكاوى خنوم حتى بلغت تسعا ، وحين رأى رنسى بن مرو إنه قد يئس منه تماما وإنه ذاهب ليشكوه لى أنوبيس إله الموت مما يشير إلى إنه ربما أقدم على الانتحار ، أرسل إليه رنسى بين مرو من أعاده وأراه شكاواه كلها مكتوبة فى ملف بردى جديد ريثما يتم إرسالها إلى جلالة الملك الذى سر بها سرورًا عظيما ، وقد صودرت أملاك تحوت الذى ظلم القروى الفصيح وأعطيت كلها للقروى ، وسمح له بالإقامة فى العاصمة أهناسيا . والآن دعنا نتأمل بعض روائع القروى الفصيح التى أثارت إعجاب الملك المصرى القديم خيتى والقيم على قصره رنسى بن مرو وضمنت الخلود لهذا القروى المصرى البليغ :

يقول فى رساله الأولى

إذا ذهبت إلى بحر العدل وسحت عليه فى نسيم رخاء ، فإن الهواء لن يمزق قلعك ، وقاربك لن يتباطأ ، ولن يحدث لصاريك أى ضرر ، ومرساتك لن تكسر ، ولن يغوص قاربك حينما ترسو على الأرض ، ولن يحملك التيار بعيدا ولن تذوق أضرار النهر ولن ترى وجها مرتاعا ، والسمك القفاز سيأتى إليك ، وستصل يدك إلى أسمن طائر ، وذلك أنك أب لليتيم وزوج للأرملة ، وأخ لتلك التى نبذت ، ومئزر لذلك الذى لا أم له ، ودعنى أجعل اسمك فى هذه الأرض يتفق مع كل قانون عادل ، فتكون حاكما خلوا من الشر ، وشريفا بعيدا عن الدنايا ، ومهلكا للكذب ، ومشجعا للعدل .

ويصف القروى الحال فى أيامه فيقول فى شكواه الثانية :

إن كيال أكوام الغلال يعمل لمصلحة نفسه ، وذلك الذى يجب عليه أن يقدم حسابه تاما لآخر يسرق متاعه ، وذلك الذى يجب عليه أن يحكم بمقتضى القانون يأمر بالسرقة ، فمن الذى يكبح جماح الباطل إذن ؟

ويقول : إن وجه مدير السكان متجه إلى الأمام ومع ذلك فإن القارب يتجه كما يشاء ، فالملك فى داخل قصره والدفة فى يدك ، ومع ذلك فإن المشاغبات منتشرة بجوارك ، إن عمل الشاكى طويل والقضاء فيه يسير ببطء .

ويقول أيضا لرنسى بن مرو : أنظر ، إنك على مستوى واحد مع الميزان فإذا انحرفت انحرف ايضا ، ولا تحيدن ، بل أدر السكان واقبض على حبل الدفة ، إن لسانك هو ثقالة الميزان وقلبك هو ما يوزن به وشفتاك هما ذراعاه فاذا سترت وجهك أمام الشر فمن الذى يكبح جماح الشر؟

وحين يستمر صمت مدير القصر الملكى إزاء شكاوى القروى يشتد عليه مشبها إياه بأنه رئيس مخابز لا يسمح لمفلس أن يمر بها ، وأنه صقر لعامة القوم يعيش على أحقر الطيور ، وإنه يحب أن يظهر الشراهة أقل من تمساح جشع

ثم يتحول إلى تصوير حال البلاد قائلا إن الأمان قد انتزع من كل مساكن البلاد قاطبة .

ويظهر القروى تعجبه من صمت رنسى بن مرو قائلا له : أنت أيها السامع إنك لا تصغى ، ولماذا لا تصغى ؟ واليوم قد كبحت جماح التوحش والتمساح يتقهقر

وقد تكلم هذا الفلاح هذا الكلام عند مدخل قاعة المحاكمة وأمر رنسى بن

مرو حاجبين أن يضرباه بالسياط فقال : إن ابن مرو لايزال متنكبا فى غيه وإن حواسه قد عميت عما ينظر ، وصمت عما يسمع ، وانحرفت عما يتلى عليه ، ثم يعود إلى التشبيهات الأدبية التى تعد العمود الفقرى لهذه الشكاوى البليغة قائلا : ان مثلك كمثل بلد لا عميد له ، أو جماعة لا رئيس لها ، أو كسفينة لا ربان لها ، أو كعصابة أشقياء لا مرشد لها . انظر ، إنك حاكم يسرق ، وعميد قرية يقبل الرشوة ، ومفتش صقع كان يجب عليه أن يقطع دابر التخريب ، ولكنه أصبح مثالا للمجرم !

ويستمر خنوم فى تشبيهاته الرائعة ، وهو فى فوره ألمه لما ناله ولما تشقى به البلاد من فساد قائلا : حقا .. لقد ألقى الكذب على الأرض ظهريا ، هل أحضر قارب التعدية إلى البر ؟ فبماذا إذن يمكن للإنسان أن يعبر ؟ على أن هذا العمل لابد أن ينفذ كرها على أيه حال ، وهل عبور النهر بالنعال طريقة حسنة للعبور ؟ لا ! وقل لى من ذا الذى ينام الآن حتى مطلع الفجر ؟ لقد قضى على السير ليلا والسياحة نهارا ، والسماح للإنسان أن يتعهد قضيته الحقة . انظر إنه لا فائدة لمن يقول لك إن الرحمة قد تخطتك ، فما أعظم حزن الرجل الفقير الذى خربته .

انظر .. إنك صياد يشفى غليله ، وإنسان منغمس فى إرضاء ملاذه ، فيصيد جاموس البحر ، وتخترق نبله الثيران الوحشية ، ويصيد السمك ويرمى شباكه للطيور .

ويقول له : لا تحرمن رجلا رقيق الحال من أملاكه فان أملاك الرجل الفقير هى أنفاسه ، ومن يغتصبها يكتم أنفه .

وفى شكواه السادسة يذكر خنوم أن كل محاكمة حقه تدحض الباطل ، وتعلو بالصدق ، وتشجع الحسنة ، وتقضى على السيئة كالشبع عندما يقضى على الجوع ، والكساء يقضى على العرى ، وكالسماء تصفو بعد العاصفة الشديدة وتدفئ كل من شعر بالبرد ، وكالنار التى تسوى النئ ، وكالماء الذى يطفى الظمأ ، ويعود إلى وصف الحال السيء للبلاد بقوله : انظر بعينيك : إن المحكم متلاف والمصلح موجد للحزن ، ومهدىء الخلافات خالق للألم ، والمغتصب يحط قدر العداله ..

وهكذا تلتقى شكوى الفلاح الفصيح مع النصوص الأدبية الأخرى التى صورت ما حاق بمصر من فساد اجتماعى وإدارى بعد العهد الزاهر للدولة القديمة وتضاف حسرته لما أصابه وأصاب مصر إلى حسراتهم ، ومناداته بالإصلاح إلى مناداتهم ، ونلاحظ أن كل هذه النصوص التى صورت العذاب فى حب مصر لم تخل ابدا من بريق الأمل حتى فى بردية اليائس من الحياة فى حواره مع روحه فإن هذه الروح قد كرهت إليه الأنتحار ودعته إلى التمتع بالحياة .

وننتقل الآن إلى صورة أخرى من حب مصر والعذاب وفى هذا الحب ، صورة لمصرى خارج مصر هو سنوهى الذى كان يعمل فى القصر الملكى مسئولا فيما يبدو عن شئون النساء بالقصر ، وكان فى صحبة سنوسرت الابن البكر للملك امنمحات الأول فى إحدى غزواته المظفره ضد اللوبيين ، وحين ورد خبر وفاة الملك امنمحات إلى ولده سنوسرت أسرع بالعودة إلى القصر الملكى ، ويبدو أنه كان هناك شىء من النزاع على العرش فى عهد الدولة الوسطى ، وكان سنوهى طرفا فيه أو ظن أنه كان طرفا فيه ، فما إن سمع بخبر موت الملك امنمحات حتى خارت قواه وأسرع بالهرب إلى سوريا ، وهناك استقبله أحد رؤساء القبائل ، وبالغ فى اكرامه ، وزوجه كبرى بناته ، ووهبه أجود أراضيه ، وهى أرض يصفها سنوهى نفسه بقوله : إنها كانت أرضا جميلة فيها التين والكروم ونبيذها اكثر من مائها ، شهدها غزير ، وزيتونها كثير ، وكل الفاكهة محملة على أشجارها ، وكان فيها الشعير والقمح ، وماشية يخطئها العد من كل نوع ، وكذلك كان نصيبى عظيما بسبب مانلت من حب الناس ، وقد نصبنى حاكم قبيلة من أحسن قبائل بلاده ، وقد كان يضع لى الخبز لأكلى اليومى ، والخمر لشرابى اليومى ، وكذلك اللحم المطبوخ والدجاج المشوى ، هذا فضلا عن صيد الصحراء لأن ذلك كان القوم يصطادونه ويضعونه أمامى ، خلافا لصيد كلابى ، وكان يضع لى كثيرا من الحلوى ويحضر اللبن بكل الأشكال ، وقد قضيت سنين عدة ونما أولادى وأصبحوا رجالا أشداء كل يحكم قبيلته ، والرسول الذى كان يأتى من قبل الملك شمالا أوجنوبا كان ينزل عندى ، وقد

أعطيت ماء للظمآن ، وهديت إلى الطريق من كان ضالا ، وخلصت من كان قد نهب ويقول : إن أمير فلسطين قد جعلني عدة أعوام رئيس جيشه .

ومع كل هذا النعيم الذى عاش فيه سنوهى لم ينس مصر أبدا ، وغلبه الحنين إليها وأرسل إلى الملك ليعفو عنه ويسمح له بالعوده إلى مصر ، ورد الملك سنوسرت عليه ردا جميلا ، وصدر قرار ملكى بعودته ، واستقبل فى مصر وفى القصر الملكى استقبالا رائعا .. وحين نقرأ كلمات سنوهى التى يعبر فيها عن الحنين إلى مصر نرى كيف أن مصر كانت بحق هى المحبوبة الأولى فى الأدب المصرى القديم ، هذا الأدب الذى صور الجانب العاطفى فى حياة الإنسان المصرى تصويرا صادقا ، يقول سنوهى بعد أن صور تبدل حاله من البؤس إلى النعيم : وأنت يا أيها الأله ، أيا كنت ، الذى أمرت بهذا الهرب ، كن رحيما وأعدنى ثانية إلى مقر الملك ، وربما تسمح لى أن أرى المكان الذى يسكن فيه قلبى ، والأمر الذى هو أهم من ذلك أن تدفن جثتى فى الأرض التى ولدت فيها ، تعال لمساعدتى . ولقد وقع حادث سعيد ، لقد جعلت الاله يرحمنى وليته يرحمنى ثانية حتى تحسن خاتمة من قد عذبه ، وقلبه رحيم يحن لمن حتم عليه أن يعيش فى الخارج ، وإذا كان رحيما بى اليوم فليته يصغى إلى دعوات فرد ناء ، وليته يعيد من قد نكبه إلى المكان الذى أخذ منه ، آه ليت ملك مصر يرحمنى حتى أحيا برحمته ، وليتنى أسأل سيدة الأرض التى فى قصره عن إرادتها ، وليتنى أسمع أوامر أولادها .

وقد صدر القرار الملكى بعودة سنوهى إلى أرض الوطن ، وفيه يقول جلالته : ما الذى فعلته حتى يبرم شىء ضدك ؟ إن هذا العزم على الفرار قد

ملك عليك قلبك أنت ، ولم يكن في قلبي شيء ضدك .

تعال ثانية إلى مصر لترى مقر الملك الذى تموت فيه ، وتقبل الأرض عند البابين العظيمين ، وتنال نصيبك بين رجال القصر .

ويصور سنوهى لحظة فرحه العارم حين تسلم القرار الملكى بعودته إلى مصر كما يلى :

وقد وصلنى هذا القرار الملكى عند ماكنت واقفا فى وسط قبيلتى ، وقد قرئ على فانبطحت على بطنى ، ولمست التراب ونثرته على شعرى ، ومشيت حول معسكرى فرحا قائلا : كيف تفعل أشياء مثل هذه لخادم قد أضله قلبه وقاده إلى أراض متوحشه ؟ نعم إن ذلك الواحد المحسن الذى يخلصنى من الموت طيب حقيقة ، وإن حضرتك ستسمح لى بأن أختم نهاية حياتى فى مقر الملك .

وقد ترك سنوهى أسرته جميعها فى الشام ، وكل ما كان يتمتع به من مناصب عالية ، وكل مظاهر النعيم ، وعاد وحده إلى أرض مصر حيث استقبل فيها وفى القصر الملكى استقبالا رائعا من جانب الملك وأفراد أسرته .

حب المصرى لولده

ومن حب المصرى لبلده إلى حب المصرى لولده فى الأدب المصرى القديم ، فقد درج الآباء من ملوك ووزراء ومن عامة الشعب على كتابة خلاصة تجاربهم فى الحياة ليفيد منها أبناؤهم من بعدهم ، فهم لا يكتفون بتوريثهم المال وإنما هم يحرصون على أن يورثوهم الحكمة أيضا .

وقد وصل الينا من هذا اللون من أدب الحكمة ثمانى وثائق شملت الدولة القديمة والوسطى والحديثة ، فمن الدولة القديمة وصلت الينا حكم بتاح حتب وكاجمنى ، وأنا أضم مايسمه د. سليم حسن بالعهد الاقطاعى إلى الدولة الوسطى لذلك يكون قد وصل الينا من عهد هذه الدولة حكم مريكارع ووصايا امنمحات لابنه سنوسرت ، وتعاليم سحتب أب رع ، وتعاليم خيتى ، ومن الدولة الحديثة تعاليم آنى وأمنموبى والواقع أن هذه التعاليم هى صورة من عشق المصرى للحياة ، لقد عشقها فى بلده بشمسها المشرق وأفقها الوضاء وأرضها السهلة الخصبة الخضراء ، عشق حياته الشخصية فى بلده وعشق حياته النوعية فى ولده ولهذا حرص على نجاحه فى حياته حرصا شديدا تجلى فى حرارة هذه الحكم وصدقها وشمولها لجل نواحى الحياة ، وصحيح أن المصرى عشق الخلود بشخصه فى الحياة الأخرى التى كانت فى اعتقاده امتدادا لحياته على أرض مصر حين حرص على الاحتفاظ بجسده سليما من عوادى الزمن بالتحنيط ، وعلى اصطحاب كل مباهج الحياة فى مصر فى مدفنه ، إلا أن حرصه على حياته النوعية فى ولده كان أكبر وأكثر حرارة بكثير من حرصة على حياته فى الأخره ، ربما لأن حياته فى ولده واقع يراه متجسدا أمام عينيه بينما تعرضت عقيدته فى

الحياة الأخرى للشك ، وهى العقيدة التى اهتزت كثيرا إبان الثورة الاجتماعية الأولى ، كما نرى فى بردية الضارب على العود ، وبردية اليائس من الحياة ففيهما تشكيك فى عقيدة الحياة الآخرة ، ودعوة إلى التمتع بالحياة الحاضرة ..

نعم .. لا يبلغ الأدب الدينى كما وكيفا ما بلغه الأدب الذى كتبه الأباء للأبناء ، وهو لون طريف من ألوان الأدب تكاد تتفردبه مصر

نصائح بتاح حوتب

ومن أقدم نصوص هذا الأدب نصائح بتاح حتب الذى كان وزيرا للملك إسيسى (٢٦٧٠ ق.م) ، وقد استأذن هذا الوزير مليكه فى أن يحتل ابنه مكانه وأن يفضى إليه بخبرته فى الحياة . فأجاب جلالته : علمه أولا الحديث ، وإنى أرجو أن يكون مثالا لأولاد العظماء ، وليت الطاعة تكون رائده ، ويدرك كل فكرة صائبة ممن يتحدث إليه ، فليس هناك ولد يحرز الفهم من تلقاء نفسه .

وقد جاء فى نصائح الوزير بتاح حتب لولده ما يلى :

لاتكونن متكبرا بسبب معرفتك ، ولا تكونين منتفخ الأوداج لأنك رجل عالم فشاور الجاهل والعاقل ، لأن نهاية العلم لايمكن الوصول إليها ، وليس هناك عالم مسيطر تماما على فنه ، وإن الكلام الحسن أكثر اختفاء من الحجر الأخضر الكريم ، ومع ذلك فإن يوجد مع الإماء اللائى يعملن فى إدارة أحجار الطواحين !

وهو يذكره بأن الاستماع مفيد للابن فيكون حسن الإصغاء ، وحسن الكلام ، والإصغاء أحسن من أى شىء ، لأن من نتائجه الحب الجميل ، والعقل هو الذى يشكل صاحبه فيكون مستمعا أوغير مستمع ، وعقل الإنسان هو حياته وسعادته وصحته ، وأجمل بالولد الذى يرى الواجب فى أن يصغى إلى والده

وينتقل به من فضيلة حسن الإصغاء إلى أدب مجالسة الناس فيقول :

إذا اتفق أنك كنت من بين الجالسين على مائدة من هو أكبر منك مقاما فخذ مايقدم لك حينما يوضع أمامك ، ولاتنظرن إلا إلى ما وضع أمامك ، وانظر

بمحياك إلى أسفل إلى أن يحييك ، وتكلم فقط بعد أن يرحب بك ، واضحك حينما يضحك فإن ذلك سيكون سارا لقلبه ، وما تفعله يكون مقبولا ، لأن الإنسان لايعلم ما فى القلب ، والرجل العظيم يتوقف عزمه على أوامر نفسه .

وينتقل به إلى مجال الأعمال الرسمية فيقول :

إذا كان رئيسك فيما مضى من أصل وضيع فعليك أن تتجاهل وضاعته السابقة ، واحترمه حسبما وصل إليه ، لأن الثمرة لا تأتى عفوا ، ولا تعيدن قط كلمات حمقاء خرجت من غيرك فى ساعة غضب ، التزم الصمت فإن هذا أحسن من أزهار (تقطف) ، وتكلم فقط إذا كنت تعلم بأنك ستحل المعضلات ، وإن الذى يتكلم فى المحفل لمفتن (فى الكلام) وصناعة الكلام أصعب من أية حرفة أخرى .

ويقول له :

كن عميقا نزر الكلام ، وكن ثبت الجنان طالما تتكلم ، فعسى أن يقول الأمير الذى يسمع كلامك : ما أسد الكلام الذى يخرج من فمه !

ويقول فى علاقته بأصدقائه :

أشبع أصدقاءك بما جد لك بسبب نيلك الحظوة عند الملك ، إذ لا يوجد إنسان يعرف مصيره إذا فكر فى الغد ، وإذا اعترى حظوته لدى الملك شىء فإن الأصدقاء هم الذين لا يفتأون يقولون له مرحبا ، فعليك أن تستبقى ودهم لوقت السخط الذى يهدد الإنسان

ويقول فى التحذير من النساء :

إذا أردت أن تحافظ على الصداقة فى بيت تدخله سيدا كنت أم خادما أم صاحبا فاحذر القرب من النساء ، فإن المكان الذى يكن فيه ليس بالحسن، ومن الحكمة إذن ألا تحشر نفسك معهن ومن أجل ذلك يذهب ألف رجل إلى الهلاك بسبب متعة قصيرة تضيع كالحلم ولا يجنى الإنسان من معرفتهن غير الموت . ويقول له :

كن طلق الوجه مادمت حيا ، واتبع لبك مادمت حيا ، ولاتفعلن أكثر مما قيل لك ، ولاتنقصن من الوقت الذى تتبع فيه قلبك لأنه مكروه عند النفس أن نتقص من وقتها ، ولا تشغل نفسك يوميا بخلاف ما يتطلبه بيتك ، وعندما يواتيك الثراء متع نفسك لأن الثراء لا تتم فائدته إذا كان معذبا .

إذا كنت رجلا ناجحا فأسس لنفسك بيتا ، واتخذ لنفسك زوجة تكون سيدة قلبك ، اشبع جوفها ، واسترها ، إن علاج أعضائها هو الدهان ، فهى حقل مثمر لسيدها ، اجعل قلبها فرحا مادمت حيا ، إن الرجل الذى يتبع طريقة حقة فى سلوكه ويسير على صراط سوى يعيش طويلا ويكسب الغنى بذلك ، ولكن الشره لا قبر له وإن الصدق جميل وقيمته خالدة ولم يتزحزح عن مكانه منذ خلق لأن العقاب يحل بمن يعبث بقوانينه ، وقد تذهب المصائب بالثروة ولكن الصدق لا يذهب بل يمكث ويبقى

وإن الرجل الحكيم تنعم روحه باستمرار بقاء فضيلته على الأرض ، والرجل العاقل يعرف بعمله ، وقلبه ميزان لسانه وشفتاه تصيبان القول عندما يتكلم ، وعيناه تبصران عندما ينظر وأذناه تسمعان ما يفيده وهو الذى يقيم العدل ويبرأ من الكذب .

وهذه التعاليم تنتمى إلى الدولة المصرية القديمة التى شهدت أعظم الملوك وأكبر الانجازات الحضارية ومنهما بناء الأهرام التى ليست مجرد مقابر للملوك العظام لكنها أعمال هندسية وفلكية على أعظم درجة من الاتقان والروعة والإبداع فى تاريخ الفكرالبشرى كله ، ويكفى تلك المعادلات الرياضية التى صيغت فى هذا العهد لهندسة الكون ممثلة فى الدائرة ، والمثلث الذهبى قائم الزواية ، وكذلك معادلة حجم الهرم التى تعد أعظم معادلة رياضية فى التاريخ القديم على الاطلاق .

وننتقل الآن إلى الحكمة فى الدولة الوسطى إبان وبعد الانقلاب الماساوى الهائل للهرم الاقتصادى والاجتماعى والعقائدى فى مصر القديمة بعد الاسرة السادسة اى فيما بعد سنة ٢٦٢٥ ق . م

وهناك وثيقة تنسب لملك من ملوك الاسرة العاشرة لم يعرف اسمه ضمنها خلاصة خبرته فى الحياة لابنه مريكارع نعثر فيها على هذه الدرر الغالية :

إن الصدق (ماعت) يأتى مختمراً حسبما كان عليه الأجداد ، فعليك إذن أن تقلد أجدادك ، وتأمل .. إن كلماتهم مدونه فى المخطوطات فاقتنها واقرأها ، وقلد معرفتهم ، وبتلك الطريقة يصير صاحب الصناعة على علم بما يصنع .

كن صانعا للكلام لتكون قوى البأس ، لأن قوة الإنسان هى اللسان ، والكلام أعظم خطرا من كل حرب ، إن الرجل الفطن لايجد من يفحمه ، والذين يعرفون أنه أوتى الحكمة لا يعارضونه ، وبذلك لاتحدث له مصيبة فى زمانه .

إذا تكلمت الصدق (ماعت) فى بيتك فان الأشراف المتسلطين على الأرض

سيهابون قوتك والملك ذو العقل يفلح حاله لأن داخل (القصر) هو الذى يبعث الاحترام فى الخارج .

ومن أروع الأقوال : إن فضيلة الرجل المستقيم أحب عند الله من ثور يقدم قربانا من الرجل الظالم ، ولا تكن فظا لأن الشفقة محبوبة وأسس آثارك على حب الناس ، وسيحمد الناس الله على مكافاتك لهم مقدمين الشكر على شفقتك ، ومصلين لعافيتك . لاترفع من شأن ابن العظيم على ابن الوضيع بل اتخذ لنفسك الرجل بحسب كفايته ، ومع ذلك فإن ليس من الفطنة أن تهمل الأسر الشريفة العريقة

أقم العدل لتوطد مكانتك فوق الأرض ، وواس الحزينة ولا تعذبن الأرملة ، ولا تحرمن رجلا من ميراث والده ، ولا تضرن الأشراف فى مراكزهم .

نصائح إلى الملك سنوسرت

تعكس لنا التعاليم التى تركها الملك امنمحات الأول إلى ابنه الملك سنوسرت الأول جانبا من الحياة السياسية المضطربه التى لم تخل منها عهود الدولة الوسطى ، فقد تعرض امنمحات لمؤامرة اعتداء على حياته فى إحدى الليالى وكان ابنه سنوسرت فى حرب مع الليبيين ، وقد عرفنا من قصة سنوهى أنه عاد فورا إلى القصر بعد أن علم بوفاة والده ، وفى اعتقادى أن امنمحات قد أملى تعاليمه بينما كان يودع الحياة على أثر نجاح المؤامره ضده ، ولهذا اصطبغت تعاليمه لابنه بطابع التشاؤم ، وقلة الثقة فى المقربين ، وإن كانت محاطة باطار من الوقار والرزانة والحكمة العميقة العالية .

يقول الملك لابنه : خذ الحذر من مرءوسيك لأن الناس يصغون لمن يرهبهم ولا تقترين منهم على انفراد ، ولا تثقن بأخ ولا تعرفن لنفسك صديقا ، ولا تصطفين لك خلانا لأن ذلك لا فائدة منه

وعندما تكون نائما كن الحارس لشخصك حرصا على قلبك ، لأن الرجل لا صديق له فى يوم الشدة ، فإنى قد أعطيت الفقير وعلمت اليتيم وجعلت من لاثروة له مثل صاحب الثروة ، وقد كان آكل خبزى هو الذى جند الجنود ضدى ، والرجل الذى مددت له يد المساعدة هو الذى أحدث لى بها المتاعب ، والذين يرتدون فاخر ثيابى عاملونى كالذين فى حاجة إليه .

ويروى الملك لابنه كيف تمت ضده المؤامرة : لقد كان ذلك وقت العشاء حينما دخل الليل ، وكان قلبى قد أخذ يجد وراء النوم ، ثم شعرت كان أسلحة

تلوح ، وكان إنسانا يسأل عنى ، فانقلبت كأنى ثعبان الصحراء ، وقد استيقظت على صوت الحرب ، وكنت وحيدا ووجدت أنها حرب جنود ولوكنت قد اسعفت بالسلاح فى يدى لكنت قد شتت شمل المخننين شذر مذر ، ولكن لاشجاع فى الليل ، ولا يمكن أن يحارب الإنسان وحيدا ، إذ لا نصر بدون معين .

وهكذا نرى طابع التشاؤم يغلب على تعاليم الملك لولده بسبب هذه المؤامرة على حياته التى كانت إحدى صور الاضطراب فى حياة الدولة الوسطى .

نصائح خيتى بن دواوف

ونصل الآن إلى تعاليم الدولة الحديثة ، وفيها نرى خيتى بن دواوف الذى ينتمى إلى الأسرة الثامنة عشرة [1] يوجه ابنه بيبى إلى الكتب والعلم مبغضا إليه المهن الأخرى ، بينما كان فى طريقه لإلحاق هذا الابن بالمدارس التى كان يتعلم فيها أولاد علية القوم . وهو يبدؤها بقوله : تعاليم ألفها مسافر فى حجرة سفينة اسمه خيتى بن دواوف لابنه بيبى حينما سافر مصعدا فى النهر إلى عاصمة الملك ليلحق ابنه بالمدرسة بين أولاد الحكام .

ويبدو هذا الوالد حريصا على أن يعمل ابنه فى وظيفة الكتابة فى الدولة ، لكنه مع ذلك لا ينسى الجمال الذاتى للكتب فى قوله : عليك أن توجه قلبك لقراءة الكتب ، ولقد شاهدت من أعتق من الأعمال الشاقة ، تأمل ! لا شىء يفوق الكتب .

ليتنى أجعلك تحب الكتب أكثر من والدتك ، وليت فى مقدورى أن أظهر جمالها أمام وجهك ! إنها أعظم من أية حرفة ، وإذا أخذ التلميذ فى سبيل النجاح وهو لم يزل طفلا فإن الناس تهنئه ، ويكلف تنفيذ الأوامر ، ولا يعود إلى البيت ليرتدى ثوب العمل .

ويذكر له كيف أن الكاتب هو الذى يكلف بكبار المهام : علىّ أننى لم أر قط قاطع أحجار كلّف برسالة ، ولا صانعا أرسل فى مهمة .

ويعدد له متاعب ومصاعب المهن الأخرى كمهنة النحاس والبناء والحلاق

---

(١) سليم حسن : الادب المصرى القديم : ١١٩ وإن كان قد ألحق هذه التعاليم بالدولة الوسطى برغم انتمائها إلى الاسرة الثامنة عشرة وهى بداية الدولة الحديثة .

والبستانى والفلاح والناسج وصانع السهام وغيرها .

ولا يكتفى خيتى بتوجيه ولده إلى مهنة الكتابة بل يعلمه أيضا آداب السلوك الاجتماعى الذى يضمن له النجاح فى الحياة ، يقول :

إذا دخلت ورب البيت فى داره مشغول بآخر قبلك فعليك أن تجلس ويدك فى فمك (أى صامتا) ولا تسأله عن أى شيء ، وفضلا عن ذلك لا تتكلم بكلمات غامضة ولا تنطق بلفظة وقحة .

إذا أرسلك رجل عظيم برسالة فأدها كما ألقيت عليك ، ولا تنقص منها ولا تزد عليها .

كن قنوعا بطعامك ، إذا كان يكفيك ثلاثة رغفان وشرب قدحين من الجعة ، فإذا لم يمكن بطنك قد اكتفى بعد فحاربه !

انظر ، إنه لحسن أن تفض الجمهور وتستمع منفردا إلى كلمات العظيم ، واتخذ لنفسك رجلا صديقا من جيلك .

ويذكره بفضل الوالدين قائلا : يجب على الإنسان أن يشكر والده ووالدته اللذين وضعاه على طريق الأحياء .

ولا يفوتنا أن نشير إلى هذه النصيحة الغالية التى يبدو أن خيتى قد اقتبسها من كتاب يسميه كمت « وهو اسم مصر القديمة » : إن الرجل الذى يعمل على حسب عقل غيره لا ينجح ، وأنا اعتبر هذه النصيحة أعظم درة فى هذه التعاليم لأنها دعوة إلى الاستقلال فى الفكر بعد قراءة الكتب والتعرف على فكر أصحابها .

ولا تخرج تعاليم الحكيم آنى لابنه خنسحتب عما مر بنا من قبل فى التعاليم السابقة فهو ينصحه بأن يتخذ لنفسه زوجة وهو لا يزال شابا حتى ينجب وهو صغير السن ويرى ابنه رجلا وألا يفشى أسرار بيت دخله ، وأن يحذر المرأة التى لا يعرفها ، ويبتعد عن الفاحشه ، وأن يكون تقيا ورعا يقدم القرابين لله ، ويحترم بيت الله ، ولا يجهر بالصلاة ، وألا ينسى أبويه حتى بعد موتهما ، وأن يعد لنفسه قبرا جميلا لأنه لايعلم متى يحين الأجل ، وألا يقعد إذا كان من هو أكبر منه سنا واقفا ، وأن يحرص على مايفوه به لسانه لأن كلمة واحدة قد تخلق له الأعداء وتُنزل به مايكره ، وأن يتجنب تحريك الشجار فى بيته ، ولا يمثل دور الرئيس مع زوجته .

تعاليم امنموبى :

ونصل الآن إلى آخر وأطول ماوصل إلينا من التعاليم المصرية القديمة فى عصر الدوله الحديثة ، وهى تعاليم أمنموبى لابنه الأصغر . وتشتمل على ثلاثين فصلا فيها حث على حسن الإصغاء لهذه التعاليم ، والسلوك الاجتماعى المهذب ، والتأنى قبل الكلام ، والفرق بين الأحمق والحكيم ، والدعوة إلى عدم التعدى على أرض الغير ، والنهى عن الاندفاع وراء الثروة وتحصيلها بالسرقه ، وحفظ اللسان من الألفاظ الشائنة ، وتجنب مصاحبة الأحمق ، والبعد عن النفاق وما فى أيدى الناس أو إيذائهم ، وألا يحرك المرء قلمه ليضر إنسانا آخر ، وعدم التلاعب بالموازين والمكاييل ، والتزام الصدق فى المحكمة ، والأمانة فى الوظيفة ، وأن يجعل الإنسان قلبه مع الله ، وألا يسخر المرء من إنسان مصاب فى جسمه أو عقله ، ويدعو إلى احترام من هو أكبر سنا ، ومعاونة الناس بقدر الاستطاعة .

والحق أن روعة هذه الحكم تأتى من جودة وعمق ما فيها من فكر من ناحية ومن ناحية أخرى تأتى من جمال أسلوبها بتشبيهاته الصائبة . ولنقرأ فصلها الثانى :

احذر أن تسلب فقيرا بائسا

وإن تكون شجاعا أمام رجل مهيض الجناح

ولا تمدن يدك لتمس رجلا مسنا بسوء

ولا تسخر من كلمة رجل هرم

ولاتجعل نفسك رسولا فى مهمة ضارة

ولا ترغب فى مصاحبة من أداها

ومن فعل فاحشة فإن المرفأ يفلت منه

وأرضه المبللة تحمله بعيدا

وكذلك إعصار الشمال يهب ليقضى على حياته ويتحد مع العاصفة

أما الرعد فقاصف وأما التماسيح فخبيثة

وأنت أيها الرجل الأحمق ما حالك ؟

إنه يصبح وصوته يصل إلى عنان السماء ،

وأنت أيها القمر (تحوت) الذى ثبت جريمته حرك الدفة حتى يمكن للرجل الخبيث أن يعبر إلينا لأننا لا نرتكب ما ارتكبه .

ارفعه ومد يدك إليه

وأسلمه إلى ذراعى الاله

واملأ جوفه بخبزك

حتى يشبع ويعى

وهناك شىء آخر محبب للإله :

هو التأنى قبل الكلام

ومن فرائد هذه الحكم :

الفقر لا يأتى للرجل عندما يقول الشىء السار

والغنى لا يأتى له عندما يكون قوله من القش

والنوتى الذى يرى من بعد

قاربه لا يغرق

إن الله يحب سعاده المتواضع

أكثر من احترام الشريف

لاتصنعن لنفسك معبرا على النهر

ثم تجاهد بعد ذلك لتجمع أجره

خذ الأجر من الرجل صاحب الثروة

ورحب بمن لايملك شيئا

ولعلنا لاحظنا اجتماع العنصرين اللذين ذكرناهما فى هذه التعاليم وهما عمق التفكير ، وجمال التعبير ممثلا فى هذه التشبيهات البديعة التى تذكرنا بالتشبيهات التى وشى بها القروى الفصيح شكاواه ذات القيمة الأدبية العالية .

فلسفة التمتع بالحاضر :

ومنذ أيام مصر القديمة ظهرت تلك الدعوة إلى التمتع بالحياة الحاضرة فلا أحد ممن رحلوا إلى العالم الآخر قد عاد وأخبرنا بما يجرى هناك ! هذه الدعوة إذن اقدم مما وصل إلينا منها من الحضارة الوسطى سواء من الفلسفة اليونانية أو من رباعيات الخيام الذى يبدو امتدادا حقيقيا لأبى نواس ، وقد حملتها أغان كانت تنشد مع الوليمة التى كان أهل المتوفى فى مصر القديمة يقيمونها إلى جوار قبره ، وهى وليمة كانت تزخر بما تزخر الولائم الفاخرة من موسيقا وغناء وزهور وعطور [1] ومن هذه الأغانى أغنية الضارب على العود :

ان الأمور تسير سيرا حسنا مع هذا الأمير الطيب

وإن المقدر الجميل قد وقع

فتذهب أجسام وتبقى أخرى منذ عهد الذين سبقونا ، والآلهة الغابرون راقدون فى أهرامهم ، وكذلك الأشراف والمعظمون قد دفنوا فى أهرامهم ، والذين بنوا بيوتا قد أصبحت مساكنهم كأن لم تكن ، فماذا جرى لهم ؟

لقد سمعت أحاديث امحوتب وحردادف اللذين يتحدث بكلماتهما فى كل مكان

فاين مساكنهم الآن ؟

جدرانهم دمرت ومساكنهم لا وجود لها كان لم تكن قط

ولم يأت أحد من هناك ليحدثنا عن حالهم ، ويخبرنا بما يحتاجون إليه

---

(١) د. سليم حسن . الأدب المصرى القديم . ٢٢٨/٢

لتطمئن قلوبنا ، قبل أن نذهب نحن كذلك إلى المكان الذى ذهبوا إليه

كن فرحا حتى تجعل قلبك ينسى أن القوم سيحتفلون يوما بعودتك

متع نفسك مادمت حيا ، وضع العطر على رأسك ، والبس الكتان الجميل ، ودلك نفسك بالراوائح الزكية المقدسة

وزد كثيراً فى المسرات التى تملكها ولا تجعل قلبك يكتئب

اتبع رغباتك وافعل الخير لنفسك

افعل ماتميل إليه على الأرض ولاتغضبن قلبك حتى يأتى يوم نعيك

ومع ذلك فإن صاحب القلب الساكن لا يسمع عويله

وإن الصياح لا ينجى انسانا من العالم السفلى.

اقض اليوم فى سعادة ولا تجهد نفسك !

أصغ ! ليس فى مقدور إنسان ولى أن يعود ثانية !

فنحن هنا أمام نظرة متشككة فى عقيدة الحياة الأخرى ، وبناء على هذه النظره المتشككة تقام هذه الدعوة إلى التمتع بالحياة الدنيا إلى أقصى حد . وفى مثل هذه الأغنية وغيرها من الأغانى المرتبطة بصورة الضارب على العود نرى هذا الأسى على نهاية الحياة ، تلك الحياة التى كان استمتاع المصرى القديم بها هو سبب حبه الشديد لها ، وتمسكه بها ، سواء فى عقيدته التى آمن فيها باستمرارها بعد الموت أو فى دعوته إلى الاستمتاع بكل لحظة فيها حين شك فى هذه العقيدة ، ولنتأمل هذا الأسى فى تلك الأغنية التى وجدت فى قبر أحد كهنة طيبة [1] :

(١) د. سليم حسن . الأدب المصرى القديم ٢/ ٢٣٠

أن الاجسام ينتهى أجلها منذ وقت الإله ، ويحل محلها جيل آخر

والاله رع يشرق فى الصباح وتغيب آتوم فى هانوم « جبل تغيب وراءه الشمس كل يوم »

والرجال تلقح النساء ويحملن ، وكل أنف يتنسم الهواء

ويطلع النهار ، وأطفالهم يذهبون فرادى وجماعات إلى أماكنهم

امض اليوم فى متاع أيها الكاهن ! ضع العطر والزيت الجميل فى خياشيمك ، وتيجان الأزهار وأزهار البشنين حول عنق أختك التى تحبها والجالسة بجانبك

وليكن الغناء الموسيقى أمامك

واطرح كل الآلام وراء ظهرك وفكر فى السرور إلى أن يأتى اليوم الذى تصل فيه إلى الميناء فى الأرض التى تحب الصمت

اقض يومك فى سرور يا " نفرحتب " أيها الكاهن ذو اليدين الطاهرتين

ونحن هنا نرى تصويرا تغلفه تلك الغلالة من الأسى لدورة الحياة المستمرة من طلوع الشمس وغروبها ، ومن تعاقب الأجيال جيلا وراء جيل ، إنه تصوير تنبع روعته من بساطته وصدقه المتناهيين ولمسه للحقيقة الأزلية الكبرى بهذا الأسلوب المأساوى الحزين الذى ينم عن الأسف العميق لفراق المحبوبة الغالية على نفس كل مصرى وهى الحياة فى مصر ، فالحياة والحياة فى مصر بالذات هى عشق المصرى القديم فى كل أدبه الذى نظر فيه إلى أرضها أو تطلع فيه إلى سمائها الصافية المشرقه أكثر أيام العام ، هذا الاشراق الجميل الذى خلب لبه

حتى عبده بل جعل إله الاشراق ليس فقط رئيس الألهة جميعا وإنما جعله الأله الواحد الذى لا شريك له فى عبادة اخناتون !

كل مامضى كان ادب الحب والحب لمصر وحدها دون غيرها ، ونحن الآن مقبلون على لون آخر من الوان الحب لمصر أيضا هو أدب الحرب ، ومصر كدولة قوية مدت نفوذها وسلطانها على جيرانها ، وهولاء الجيران وخاصة من الآسيويين تحينوا الفرص لمهاجمة مصر والاستيلاء عليها وحكمها ، وكما أن أدب الحب قد بعثته المحن التى مرت بها مصر فى الداخل من اضطربات اقتصادية واجتماعية فان أدب الحرب قد بعثته أيضا المحن التى مرت بها مصر مع جيرانها الاسيويين بوجه خاص . ففى أواخر الدوله القديمة ومع الأسرة السادسة (٢٦٢٥ ق. م وما بعدها) امتدت فتوحات مصر من الشلال الثانى إلى لبنان ، وبعد التفكك والضعف الذى أصاب البلاد نتيجة للثورة الاجتماعية والاقتصادية الداخلية التى انهت عهد الدولة القديمة ، مرت البلاد بالمحن الداخلية التى بعثت أهم آثارها الأدبية خلال العهد الطويل الذى شغلته الدولة الوسطى والذى امتد منذ نهاية الأسرة السادسة حتى بداية الأسرة الثامنه عشرة (فيما تلا ٢٦٢٥ حتى ١٥٨٠ ق . م) على مدى حكم اثنتى عشرة أسرة لمصر .

ومنذ هذا التاريخ تظهر لنا الآثار الأدبية الحربية فى مصر مشاعر المرارة التى يحملها المصريون لجيرانهم الأسيويين بعد هذه الفترة الطويلة من حكم الهكسوس للبلاد . ويبدو لنا كيف أن ملوك مصر حرصوا على تأمينها ضد غارت الشعوب المجاورة فى قصيدة صورت انتصارات تحتمس الثالث ، قيلت على لسان آمون رع رب الكرنك حين عاد إليه هذا الملك منتصرا :

إنى أجعل انتصاراتك تنتشر فى الخارج فى كل البلاد ، وذلك الذى يضئ

على جبينى خاضع لك ، ولا أحد يثور عليك فى كل ما تحيط به السماء ، بل يأتون بالهدايا على ظهورهم ، ويقدمون الطاعة لجلالتك كما أمر !

لقد عملت على كبت من يقوم بغارات ، ومن يقترب منك فقلوبهم تحترق وأعضاؤهم ترتعد . لقد حضرت لأمكنك من أن تطأ أولئك الذين فى آسيا [(١)]

ويبدو وأن مصر قد عانت طويلا من غارات جيرانها من اللوبيين عليها ونرى القصيدة التى أنشدت فى انتصار مرنبتاح على اللوبيين فى ١٢٣٠ ق .م تشير إلى ما كان يعانية المصريون من هجمات جيرانهم [(٢)] : إن الشمس بددت الغيوم التى كانت تخيم على مصر ، وقد جعل تامرى (مصر) تشاهد أشعة الشمس ، وهو الذى أزاح تلا من النحاس من فوق ظهر الشعب حتى يتمكن من منح من كانوا فى الأسر الهواء ، وهو الذى جعل اللوبيين الذين وطئوا أرض مصر ينكصون على اعقابهم .

إن من ينتظر هجومه لغبى أحمق ، ومن يتعدى على حدوده لا يعلم ما يخبئه له الغد . ومنها :

يقول الناس منذ زمن الالهة إن مصر هى الابنة الوحيدة لرع ، وابنه هو الذى يجلس على عرش شو (إله الهواء ابن رع)

ولن يشرع أحد فى التعدى على سكانها ، وعين كل إله سترقب كل من ينهبها

---

(١) سليم حسن ، الأدب المصرى القديم . ٢/١٩١

(٢) سليم حسن . الأدب المصرى القديم . ٢/ ١٩١

ولا شك أنها ستقضى على أعدائها

وقد حدثت أعجوبة كبرى لمصر ، فكل من يهاجمها يصير أسيرا فى يديه بقرار مجلس الملك الذى يشبه الإله .

ومرة أخرى تبدو معاناة مصر من اعتداءات البلاد المجاورة لها فى هذه الكلمات :

لقد أشرق السرور العظيم على مصر ، وانبعث الفرح من بلدان الدميرة (مصر) ، وتحدث الناس عن الانتصارات التى أحرزها مرنبتاح على التحنو (اللوبيين)

آه ! إنه لحسن أن يجلس الإنسان ويتحدث .

والناس تغدو وتروح ثانية دون أى عائق فى الطريق ، وليس هناك أى خوف فى قلوبهم

وليس هناك نداء بالليل " قف قف " بلغة الأجانب ، والناس يروحون ويغدون مغنين ، وليس هناك صياح قوم يتوجعون !

والمدن أصبحت كرة أخرى معمورة ، وذلك الذى زرع غله سيأكل منها أيضا ،

لقد وجهه رع إلى مصر ثانية ، وقد ولد مقدرا له حمايتها ، هو الملك مرنبتاح

ويعدد قائل القصيدة الشعوب التى انتصر عليها مرنبتاح إنها : خانى وكنعان وعسقلان وجيزر وينوام وإسرائيل وخارو (فلسطين) بالإضافة إلى

اللوبيين ويبدو أن هذه القبائل جمعيا هاجمت مصر منطلقة من لوبيا . فهذه الشعوب بالإضافة إلى الليبيين هى بالفعل قبائل البدو " تسعه الأقواس " التى ذكرت فى القصيدة ، وتسعة الأقواس هو الاسم القديم لجيران مصر المعادين لها [1] .

هذا الشعر صور محنة مصر مع جيرانها ، وإنقاذ الفرعون لها بانتصاره على الشعوب التى لم تتعد على حدودها فقط بل وصل بها الأمر إلى التدخل فى شئونها وتقييد حرية اهلها والاعتداء عليهم . وهو ما يشير إليه الشاعر بقوله « إن المصريين قد أمنوا هؤلاء الذين يصيحون بهم ليلا بلغة أجنبية : قف قف !

وإذا كان هذا الشعر قد صور محنة مصر هذه فإن هناك قصيدة أخرى من أدب الحرب صورت محنه للفرعون نفسه وهو الملك رعمسيس الثانى الذى كان يحاول استعادة نفوذ مصر فى البلاد المجاورة وهو النفوذ الذى أضاعه اخناتون بانشغاله عن فتوحات مصر وممتلكاتها بدينه الجديد .

ولاشك أن ملوك مصر كانوا على يقين أن خير وسيلة لاتقاء هجمات هذه الشعوب قريبها وبعيدها من أرض مصر هو إخضاعها فى بلادها للنفوذ المصرى .

وموقعة قادش صورة لهذه المحاولات التى بذلها ملوك مصر ، وقد اختلف المؤرخون حول ماوقع فى هذه الحرب غير أننا ننظر إليها هنا من الناحية الأدبية فنحن أمام أول ملحمه فى التاريخ بطلها القومى الأسطورى هو الملك رعمسيس الثانى نفسه ، وهى تروى أنه تخاذل عنه ضباطه وجيوشه بعد أن أخذهم على

---

(١) سليم حسن الأدب المصرى القديم ٢/٢٢٢

حين غرة منهم أمير الخيتا الذى جمع حوله كل البلاد الأجنبية من أولها حتى أقاصى حدود البحر ، وهى البلاد التى تتكون منها العراق والشام بأجمعها ، وكان ملك الخيتا مختبئا مع هذا الجيش العرمرم فى شمال هضبة قادش ، وبعد أن تقهقرت جيوش رعمسيس بقى هذا الملك وحده فى ميدان القتال ثابتا ومعه سائق عربته وبعض سقاة القصر ، ونادى ربه آمون أن يقف بجانبه فى محنته فلم يثبت أمامه مئات الألوف من الأعداء ، بل فروا مجندلين تحت ضرباته التى أعانه عليها آمون رع ، ونجا بنفسه ، وعندئذ طلب أمير الخيتا الصلح والرحمة ، وحين أتى إلى رعمسيس كبار ضباطه يهنئونه على موقفه العظيم ويخهم على تركهم إياه فى ساحة القتال وحيدا ، ثم عرض عليهم طلب أمير الصلح فحبذوا له ذلك وعاد رعمسيس إلى مصر مظفرا .

هذا هو مضمون هذه الملحمة التى تعد إحدى فرائد أدب الملاحم القديم ، والتى تهمنا فقط – كما ذكرنا – من الوجهة الأدبية البحتة ، ولنتأمل الآن صورة المحنة التى تعرض لها هذا الفرعون حين وجد نفسه وحيدا : " ولم يكن معى رئيس ، ولم يكن معى فارس عربة ، ولا ضابط من المشاة أو الفرسان ، وقد تركنى مشاتى وفرسانى فريسة للأعداء ، ولم يثبت أحد منهم ليحارب معى " ، وقال جلالته : " ماذا جرى يا والدى آمون ؟ هل نسى الأب حق ابنه ؟ هل عملت شيئا من دونك ؟ هل أذهب أو أقف ساكتا إلا حسب قولك ؟ على أنى لم أتحول قط عن نصائحك التى من فمك . ما أعظم رب مصر العظيم ! إنه عظيم جدا فلا يسمح للأجانب أن يقتربوا منه ، ماقيمة هؤلاء الآسيويين عندك ياآمون ؟ تعسا لهم ، وإنهم لايعرفون الإله ! "

ويقول جلالته : " إنى أدعوك يا إلهى آمون وإنى وسط أعداء لا أعرفهم ،

وكل البلاد قد تضافرت على وأنا وحيد وليس أحد آخر معى ، وإن جنودى قد هجرونى ولم يلتفت أحد من فرسانى حوله إلى ، وإذا ناديت عليهم فلا يسمع لى أحد ، ولكن أنادى فاجد أن آمون خير لى من آلاف آلاف الجنود المشاة ، وأحسن من مئات الألوف من فرسان العربات ...

وتصور الملحمة كيف سرى الفرح والحماس والأطمئنان فى نفس الملك المصرى ، وكيف استطاع وحده أن يهزم هذه الجموع الغفيرة التى بدا لها أنها لا تحارب بشرا ، وإنما إلها من الآلهة ، فتنجو بنفسها من بأسه ويطلب ملك الخيتا الصلح الذى ذكرناه .

وإذن فنحن فى أدب الحرب تماما كما فى أدب الحب الأرضى والسماوى نرى مصر هى المحور الرئيس لاهتمام الأنسان المصرى . إنه يحارب من أجلها مدافعا عنها ، أو باسطا نفوذها على غيرها ، باعتبار أن الهجوم هو أفضل وسيلة للدفاع عن هذه الأرض التى ذاقت مرارة احتلال الهكسوس فى عهد الدولة الوسطى وعانت غارات البلاد المجاورة عليها ، لما حباها الله من أرض معطاء وخير وفير .

أدب السماء :

عشق المصرى للحياة كما رأينا هو المضمون الرئيسى فى الأدب المصرى القديم ، وهذا العشق تجلى فى عشق المصرى لحياته على أرض مصر ولامتداد حياته العضوية على هذه الأرض فى ولده ولهذا اتجه هذا الأدب كما رأينا إلى البلد والولد ، وهو قد اتجه كذلك إلى سماء مصر بشمسها الساطعة فى جوها الصافى معظم أيام السنة ، وقد احتضنتها توت أو السماء الزرقاء البديعة ، ولهذا كان لرع إله الشمس كل هذا السلطان فى الأناشيد الدينية ، وكانت هناك فكرة إله العالم السفلى اوزير تحت الأرض وفكرة خلود الموتى فى نجوم السماء إلا أن الديانه الشمسية هى التى كان لها السلطان والذيوع والبقاء .

وقد تحققت مع الثورة الاجتماعية والاقتصادية الأولى بعد عهد الأسرة السادسة ديموقراطية الحياة الأخرى ، فقد كان الخلود فى العقيدة مقصورا فى عهد الدولة القديمة على الملك وحده ، ومنذ عهد الدولة الوسطى ثم الحديثة تمتع بالخلود فى الحياة الأخرى حاشية الملك وكبار الموظفين ، وبالتدريج أصبح الخلود والحياة فى الآخرة والتمتع بنعميها من حق جميع أبناء الشعب المصرى ، حيث اتسعت العقيدة لهم جمعيا ، وفى اعتقادى أن الحصول على حق امتداد الحياة الشخصية بعد الموت للناس العاديين كان من أهم بواعث الثورة المصرية الأولى فقد أفزع الانسان المصرى أن تستمر حياته فقط فى ولده ولاتستمر فى شخصه بعد الموت كما هو حق الملك الذى كان وحده [1] يتحد مع رع بعد وفاته .

ومع ذلك فإن المصرى قد كره الموت وتجنب ذكر اسمه فى متون الأهرام

---

(١) د. سليم حسن : الأدب المصرى القديم ، ٨٦/٢

التى جاء فيها : هيا أيها الملك " وناس " إنك لم تسافر ميتا بل سافرت حيا ، لقد سافرت لكى يمكنك أن تعيش ، إنك لم تسافر لكى تموت ، إنك لن -تموت ، هذا الملك بيبى لن يموت بسبب أى ملك ولا بسبب أى ميت ! .

ونرى فى هذه المتون ذلك التمسك الشديد بالحياة : إنك تعيش ، إنك تعيش ، ارفع نفسك ، إنك لن تموت فقم ، ارفع نفسك !

فالحياة النوعية واستمرارها فى الأبناء لم يكن كافيا للمصرى وإنما كان يريد استمرار حياته الشخصية ذاتها ، والتى لم يكن يريد للموت أن يقطعها فهو حريص على حياته الهانئة فى مصر بأرضها الخصبة وفيرة العطاء وسمائها الصافية وشمسها الساطعة ، وبهذا النعيم الذى انفرد فيه بالحب فلم يشك هجراً ولا عذابا فى أدبه كما نرى فى مختلف آداب العالم قديمها وحديثها ، وهذا العشق للحياة من جانب الأنسان المصرى هو الذى يفسر لنا اهتمام المصرى بالاحتفاظ بجسده سليما ليواصل حياته الثانية ، ويفسر لنا أيضا مضمون الأناشيد الدينية التى تركز على مباهج الحياة ، فأنت ترى فى هذه الأناشيد الإشادة برع وتقديم الحمد له ، وتراها تقوم على كونه بارئ البشر ، وخالق الحيوانات الذى يثبت الفاكهة فى الشجر ، وينشئ الأعشاب الخضراء للماشية فالحياة الثانية التى صورتها عقيدة مصر القديمة إنما كانت امتداد للحياة الأولى على أرض مصر ، ولا شىء أكثر من ذلك .

ولنتامل هذا النشيد لآمون رع الذى كان يعد الاله الرئيسى المهيمن عل كل الآلهة فى الامبراطورية المصرية : " الحمد لك ياآمون رع ، يارب الكرنك المسيطر فى طيبة ، ثور أمة والأول فى حقله ، واسع الخطى ، سيد الصعيد ورب أرض

الملتوى (قوم فى بلاد النوبة) وأمير بونت ، أكبر من فى السماء وأسن من فى الأرض يارب الكائنات ، حفاظ كل شيء ، وباق فى كل شيء ، الوحيد فى طبيعته بين الآلهة ، ثور تاسوع الآلهة ، كبير كل المعبودات ، يارب الحق ، والد الالهة ، الذى برأ البشر وخلق الحيونات ، رب كل ماهو كائن .

ونرى هذا الإعجاب بروعة اشراق الشمس فى آفاق مصر ، على لسان شقيقين هما سوتى وحور - وكانا مهندسين فى طيبة ومن المتعبدين لآمون - جاءت هذه الأنشوده الجميلة .

لك الحمد ياشمس كل نهار ، يامن تشرق فى غير فتور فى كل صباح ، أنت خبرى الذى يجهد نفسه فى العمل ، يفوق جمال أشعتك الذهب الوهاج ، أنت بتاح صانع مصور لنفسك بنفسك ، أنت يا من تفرد بذاته وصفاته ، مخترق الأبدية ومرشد الملايين إلى سواء السبيل ، يراك الخلق عند ماتذرع السماء ، ولا يدركون كيف مسيرك ، إنك تذرع الكون بغير قيد ونهار الناس من تحتك ، فإذا ما استويت فى غرب الدنيا ، دانت لك ساعات الليل ، وإذا ما طويتها استقبل الكون نورك وسعى الخلق فى الدنيا بأمرك .

والواقع أن نسبه آمون إلى رع هى التى تفسر لنا حديث الشقيقين فى نشيدهما عن الشمس ، إلا أن مايميز ديانة آمون عن ديانة اخناتون هو مناداة اخناتون بالوحدة الكاملة والإله الواحد الأحد ، بينما نرى فى النشيد السابق أن آمون رع هو الوحيد فى طبيعته بين الآلهة أو هو إله الآلهة أو رئيسهم ، أما عند اخناتون فهو إله واحد لا شريك له .

ولاخناتون نشيد صغير وآخر كبير ، نرى فيهما إلى جانب الجرأة والحسم

في توحيد آتون وتنزيهه عن كل شريك ، نرى التعبير الأدبى الرائع المفعم بالحرارة ، والمشرق إشراق الشمس فى رائعة النهار ، فلنتأمل بعض جوانب النشيد الكبير للإله الواحد الأحد الذى ليس معه سواه وليس له نظير ، الذى برأ الدنيا وفق رغبته ، وكان فردا .

تجليك فى أفق السماء بديع ، أى آتون الحى ، ياأصل الحياة وبدأها

إنك حين تشرق من جبل النور الشرقى تملأ الأرض بجمالك ومحبتك

إنك أنت الإله الذى دان الجميع بحبه

أنت عال جدا ، ومع ذلك فإن أشعتك تشرق على الأرض

أنت فى وجوه البشر ، ومع ذلك لايستطيع أحد منهم أن يتكهن بسر قدومك

حين تغيب فى الأفق الغربى فإن الأرض تكون فى ظلام كالموات

آتون ياضوء النهار ، ياعظيم المجد ، بلدانا نائية تهبها الحياة ، وترسل الغيث من أجلها

لقد صنعت نيلا فى السماء حيث يموج الغيث فوق الجبال كالأخضر العظيم ، ويسقى الحقول بين القرى

ماأجل تدبيرك رب الخلود

فيضان فى السماء لأهل القفار وحيوان الفلا

وفيضان سواه لأرض مصر يأتى إليها من دنيا العدم

الأشعة تغذى كل امرىء ، وحين تشرق يحيون وينمون من أجلك

أنت تجعل الفصول منتظمة لينجح كل ماصنعت

وأنت وحيد تضىء فى مختلف صورك كآتون الحى وتبدو رائعا ومشعا

وأنت بعيد وقريب

وأنت تجعل من ذاتك وحدك ملايين الصور مدنا

وقرى ، حقولا وطرقا وأنهارا

كل العيون ترنو إليك لأنك أنت آتون

الذى يشرق فى النهار على الأرض

أنت الذى صنعت الدنيا بيديك

وخلقت الناس كما شئت أن تصورهم

إذا ما أشرقت عاش الناس

إذا ماغربت فانهم يموتون

إنك أنت الحياة ولا حياة للناس إلا بك

إن نشيد الأخوين سوتى وحور لآمون رع ، ونشيدى اخناتون لآتون ، هى أهم الآثار الأدبية فى مجال علاقة الإنسان بمصدر الحياة ،-ولعلنا نلاحظ أن المصرى فى هذه الأناشيد عاشق للحياة بمصدرها ومظاهرها المختلفة ؛ ففى النشيد الكبير لإخناتون نرى فى تعاقب الليل والنهار البشر والحيوانات من أسود وثعابين ، ونرى الطيور وهى تطوى اجنحتها وتنشرها ، والحملان تقفز على أقدامها ، وكل مايطير أو يحط ، تهتز أعطافه فرحا بشروق آتون ، والأرض بأسرها عامرة بحبه ، ونرى السفن تبحر شمالا وجنوبا ، وتعج الطرق بالناس ،

والعشب ، والشجر يتمايل عند ظهوره ، والأسماك فى النهر تتراقص لمرآه ، ونرى الوليد قبل أن يخرج إلى النور وبعد خروجه من بطن أمه ، والكتكوت يشقشق فى قشرته ، وعندما يخرج من البيضة وهو يصيح بكل ما لديه من قوة ثم يسير على قدميه .

وهذا الإله الواحد الأحد خلق بلاد خارو أو فلسطين وكوش (النوبة) وأرض مصر ، ووجه كل فرد إلى موطنه ودبر للجميع شئونهم .

وهذا الإله الواحد صنع فيضان النيل ليهب الحياة لأهل مصر .. لقد صنع نيلا فى السماء وفيضانا لأهل الصحراء وحيوان الفلا، وفيضانا سواه لأرض مصر ، وهو يجعل من ذاته وحدها ملايين من الصور مدنا وقرى وحقولا وطرقا وأنهارا ، وعندما يشرق يزدهر كل شيء .

وإذن فالمصرى حتى فى تدينه عاشق للحياة فى مصدرها الرئيسى ، وهو الشمس ولهذا فهو يؤله هذا المصدر ويعبده معددا مظاهر الحياة الرخية السعيدة على أرض مصر بطبيعتها الحانية المشرقة الباسمة الممتدة امتدادها الأخضر البديع على مرمى البصر بلا جبال ولا سحب ولا عواصف ولا سيول ولا زلازل .

لقد عشق المصرى الحياة برغم العواصف والزلازل الاجتماعية التى عصفت به وهجمات المغيرين على مصر وصراعهم المرير المستمر على امتلاكها .

الشكل فى الأدب المصرى القديم

الأدب عزف على وتر الكلمة فيما نسميه شعراء ورسم بريشة الكلمة فيما نسميه قصة على اختلاف ألوان وأشكال وأطوال هذين الفنين

فى فن الشعر هناك الإيقاع ، وهناك نظام الأيقاع ، والإيقاع الدورى النظيم هو الذى نجده فى الشعر العربى ، وهو الذى تضبطه القافية الموحدة على طول القصيدة بعد إتمام الدورة الإيقاعية ذات الشقين المتقابلين فى البيت الواحد ، أما الأيقاع فانا لا أشك فى وجوده فى الشعر المصرى القديم ، ومنذ عدة أعوام قمت بدرس للإيقاع فى نشيد إخناتون ، ونستطيع أن نرى نموذجا للإيقاع فى هذا النشيد على النحو التالى :

جد فخعى إك نفر ! إماخت نت بت با

وتقابله فى التفاعيل العربية مايلى :

مفعلاتن ، مفاعلاتن ، مفعولن

نعم وجدت الايقاع فى هذا النشيد ، لكن لم استطع أن أجد له نظاما معينا يماثل أو يقترب من نظام الإيقاع العربى الذى وصل إلى درجة من الدقة لم يصلها شعر أخر باعتباره حركة توافقية كاملة تتكرر فى كل بيت وفى القصيدة كلها عبر القافية الواحدة على مدى عشرات بل مئات الأبيات أحيانا ، على أن الحركة الدورية فى فن الشعر موجودة فى الشعر المصرى القديم عن طريق تكرار كلمة واحدة فى بداية مجموعة من الأبيات داخل القصيدة الواحدة ، ففى بردية الحكيم إيبوور ست قصائد شعرية تبدأ أبيات كل منها بكلمة معينه مثل كلمة حقا ، لنتأمل تكرارها فيما يلى :

حقا لقد تغيرت صورة البلاد وتبدلت أحوالها وامتلأت بالعصابات

حقا لقد شحب الوجه وتنبأ الأجداد بذلك

حقا إن الناهبين فى كل مكان

حقا إن النيل يوفينا بفيضه مباركا ميمونا ولكن ما من أحد يحرث الأرض

حقا لقد تموت النساء عاقرات ، ألا ليت ذلك يكون نهاية الناس

حقا إن القلوب قد ثارت ، والوباء قد انتشر ، والدم قد سال فى كل مكان

حقا إن الأرض تدور كعجلة الفخار ، واللص أصبح صاحب ثروة

وفى قصيدة أخرى يبدء كل بيت فيها بكلمة انظر

انظر: لقد حدث هذا بين الناس

انظر : إن الفضليات الشريفات يرقدن على الفراش الخشن

انظر : إن أولئك الذين كانوا يمتلكون الملابس أصبحوا فى خرق بالية

انظر : إن الذى لم يصنع قاربا ، أصبح الآن يملك سفنا

انظر: لقد عم الحزن البلاد من أقصاها إلى أقصاها

ويبدأ كل بيت فى قصيدة أخرى بقوله تذكر ، ويبدأ كل بيت فى آخر قصيدة بقوله : " على أنه من الخير أن "

ونرى مثل هذه الحركة الدورية فى بداية كل بيت فى بردية اليائس من الحياة ، فهو يبدأ مجموعة من أبيـــاتها بقــوله : انظر ، ويبدأ أخرى بقوله : لمن اتكلم اليوم ويبدأ ثالثه بقــوله : إن المــوت أمامى ويبدأ الرابعـــة بقوله : إن الذى هنالك .

ويذكر د. سليم حسن [1] أن تعاليم امنموبى التى مرت بنا مركبة من مقطوعات كل مقطوعة مركبة من سطرين ، وما شذ عن ذلك أتى من حذف سطر ، أو إدماج سطرين فى سطر واحد ، أو كتابه سطر واحد فى سطرين ، وهناك مقطوعات مكونه من أربعة أسطر .

ففى الشعر المصرى القديم إذن نجد الإيقاع النغمى ، ونجد الحركة الدورية التكرارية ممثلة فى تلك الكلمات الموحدة التى يبدأ بها كل سطر أو كل جملة ، ثم نجد هذه المقطوعات التى تتكون من سطرين أو من أربعة أسطر ، ومعنى ذلك أننا نشهد هنا اللبنات الأساسية لبناء موسيقى الشعر ، ولكنها لبنات لم تتكامل بعد فى بناء موسيقى كامل ، وهذا مناسب لطبيعة اللغة التى كانت لا تزال فى هذا الطور فى مرحلة التكوين والتطور قبل أن تصل إلى الكمال فى مرحلة الكلمة فى العصور الوسطى ، تلك العصور التى افتنت فى التشكيل النغمى للكلمات ، وتجمعت فيها اللبنات الأساسية للأيقاع الدورى النظيم الذى نراه فى الشعر العربى على درجة عالية ومدهشة من الكمال .

واللغة العربية هى إحدى بنات اللغة المصرية القديمة لكثرة مانراه من خصائص المصرية القديمة فى العربية من واو الجماعة ، وألف المثنى ، وهاء التنبيه ، وتشابه صيغة المبنى للمجهول ، بالإضافة إلى أن يمكننا رد عدد لا يستهان به من حروف العربية إلى المصرية القديمة فى أطوارها المختلفة كالألف والباء والراء والطاء والعين والفاء واللام والميم والنون والهاء والواو كما ذكرنا .

لقد توصلت فى دراستى لتركيب بيت الشعر العربى إلى أن الجملة الثانية

(١) د. سليم حسن ، الأدب لمصرى القديم : ٢٧٥

تنعطف دلاليا نحو الجملة الأولى وأسميت هذا حركة توافقية دلالية مصاحبة للحركة التوافقية فى التركيب الموسيقى للبيت وإنى لأجد فى تحليل د.سليم حسن لتركيب الشعر المصرى القديم نفس هذه الحركة التوافقية الدلاليه التى تنعطف فيها الجملة الثانية فى تركيب البيت نحو الجملة الأولى [1] ، وهو يذكر أن الشعر المصرى ينفرد بهذه الميزة حيث الجملة الثانية مرادفة للجملة الأولى ، أو تكون من لوازم الجملة الأولى ، ويقول إننا نستطيع أن ندرك مدى غرابة هذه الطريقة اذا حولنا قطعة ما من الشعر إلى الأسلوب المصرى ، ويطبق ذلك على بداية الكتاب الخامس من الأوديسا :

" الأن طلع الفجر من مخدعة من جانب تيتونس ، ليحمل النور إلى الخالدين والناس ، وكانت الآلهة تجتمع لجلسة ومن بينهم زيوس الذى يرعد من أعلى الذى تعلو قوته كل القوى "

فهذه القطعة تقرأ فى نظر د. سليم حسن بالأسلوب المصرى كمايلى

ان الفجر رفع نفسه من سرير تيتونس

وشفق الصبح طلع من مكان راحته

حتى يستطيع أن يضى للخالدين .

ويحضر النور لبنى الانسان

والآن كانت الالهة ذاهبة إلى المجلس

وجلس الخالدون ليتشاورا

---

(١) الأدب المصرى القديم : ٣٣

وجلس فى وسطهم زيوس الراعد

وجلس على عرشه ملك الآلهة رئيسا لهم

ذلك الذى قد عظمت قوته

وفافقت قوته كل شىء

ولاشك أن التكلف واضح فى هذا المثال الذى حوره المرحوم د. سليم حسن من الشعر اليونانى لكى يجعلنا ندرك الفرق بين الشعرين ويبرز عنصر المزاوجة فى تركيب الشعر المصرى ، ومع ذلك فان باستطاعتنا أن نلحظ تعلق الجملة الثانية بالجملة الأولى على الطبيعة فى الشعر المصرى القديم أو ما اسمية بالحركة التوافقية الراجعة فى قول امنموبى فى الجزء الثامن من قصيدته الطويلة التى ألفها مفصلا خبرته بالحياة لولده الأصغر حور ماخر [1]

ضع طيبتك فى جوف الناس

حتى يحييك كل إنسان

لأن الأنسان يرحب بالصل (الثعبان على جبين الملك)

ويبصق على الثعبان (أبوبى).

احفظ لسانك من الألفاظ الشائنة

وبذلك تصبح المفضل عند الآخرين

وستجد مكانك فى المعبد

---

(١) سليم حسن الأدب المصرى القديم : ٢٥٧

وطعامك من خبز قربان ربك

وستحترم فى شيخوختك وتوارى فى كفنك

وستكون فى مأمن من بطش الاله

لا تصيحن : جريمة فى وجه إنسان

عندمايكون سبب فراره خفيا

وإذا كنت مستمعا لتحكم فى شىء سواء كان خيرا أم شرا

فافعل ذلك فى الخارج حيث لاتسمع

وضع تقريرا حسنا على لسانك

أما ما قبح فاخفه فى بطنك

وتماما كما فعلت مع الكثير من قصائد الشعر العربى التى قمت بتحليلها بيتا بيتا لأكشف عن تعلق الجملة الثانية بالجملة الأولى فى تركيب كل بيت أو ما دعوته بالتناظر الدلالى ثم بالحركة التوافقية ، كما فعلت ذلك فإننى أجدنى أفعل نفس الشىء فى هذا الشعر المصرى القديم المنسوب إلى الشاعر الحكيم امنمحوبى ، وفى الأبيات التى أوردتها الآن تستطيع أن ترى بنفسك كيف تتعلق الجملة الثانية بالجملة الأولى بسهولة تامة فها هو كل انسان ينعطف نحو الناس وها هو الثعبان بوبى ينعطف نحو الصل أو الثعبان فى تاج الملك ، وها هو التفضيل عند الآخرين يكون نتيجة لحفظ اللسان من الألفاظ الشائنة ، وقربان الرب يعود نحو المعبد ، والأمن من بطش الإله يتعلق بالموارة فى الكفن ، والفرار الخفى يتناسب عكسيا مع الإعلان عن الجريمة بالصياح ، وتكوين الإنسان رأيه

فى نفسه بحيث لا يسمع فى الجملة الثانية ، بتعلقه باستماعه للناس من أجل إصدار حكمه فيما يسمع فى الجملة السابقة عليها ، وأخيرا ها هو أخفاء القبح فى باطن الإنسان يتناسب مع وضع التقرير الحسن على لسانه .

نعم .. هذا هو بالضبط ما لاحظته فى تركيب بيت الشعر العربى وما أقمت تحليلى للكثير من قصائد الشعر العربى على أساسه ، ويعد هذا تدعيما جديدا للرأى الذى ذهبت إليه منذ عدة أعوام ، وهو أنه كما أن اللغة العربية ترجع فى جذورها الأولى إلى اللغة المصرية القديمة فإن الشعر العربى يرجع كذلك بجذوره الأولى إلى الشعر المصرى القديم الذى احتوى على الإيقاع النغمى وعلى الحركة الدورية الراجعة ، يضاف إلى ذلك أن الشعر المصرى القديم كان فنا قائما بذاته مستقلا عن القصة ، وهذا هو نفس حال الشعر العربى الذى نشأ فنا قائما بذاته غير ممتزج بالقصة خلافا لما حدث فى الأدب اليونانى القديم الذى امتزج فيه الفنان ، وهذا هو ما تلفتنى إليه ملاحظة الدكتور سليم حسن على الشعر المصرى تلك التى وصفها بالغرابة ، وهكذا تتحقق الحركة الدورية فى الشعر المصرى القديم عن طريق بدء كل سطر أو بيت بكلمة واحدة يعود إليها الشاعر بعد انتهاء البيت كما يعود الشاعر العربى إلى القافيه الواحدة فى آخر كل بيت ، وكلاهما حركة دورية راجعة على أى حال وإن اختلفت فى طبيعتها ومكانها ، وهذه الحركة الدورية تتحقق أيضا فى هذه الحركة الدلالية الراجعة فى الملحمة والمسرحية .

ويذكر د. سليم حسن [1] أن الاناشيد الدينية فى متون الأهرام تنبىء عن

(١) د. سليم حسن : الأدب المصرى القديم : ٦٦/٢

تركيب شعرى قديم بهيئة ابيات من الشعر الموزون المقفى المنسجم فى وضع كلمات معانيه ، وقد نقل العبرانيون هذا التركيب الشعرى إلى أدبهم بعد ألفى سنه من ذلك التاريخ ، وهو تركيب معروف لنا فى المزامير باسم توازن الأعضاء ، وهو يرجع استعمال ذلك التركيب إلى الألف الرابعة قبل الميلاد ، وهى أقدم صورة للأدب المعروف لنا على مدى التاريخ .

وهناك ما هو ملحوظ فى الكتابات على البردى من وجود النقط الحمراء فى نهاية كل بيت ، وتقابل عادة تقسيم الكلام إلى جمل فرعية وعبارات ، ويدل ذلك على أنها ليست مجرد علامات وقف ، كما نشاهد أنها لاتوجد إلا فى المتون الشعرية بوجه عام [١] .

---

(١) د. سليم حسن : الأدب المصرى القديم : ١٧٢/٢

هى رسم للحياة بريشة الكلمة ، ولأن الكلمة تحتوى على الفعل المعبر عن الحركة والزمان فإن القصة تكون لوحة زمنية مرسومة للحياة ، ينطبق هذا التعريف على القصة بكل أطوالها حتى القصة الحوارية (المسرحية) .

والقصة المصرية القديمة يمكن تقسيمها ببساطة إلى قصص واقعية وقصص غير واقعية أو أسطورية ، وهذا النوع الثانى ينقسم إلى قصص أبطالها من البشر وأخرى أبطالها من الآلهة .

ويجب أن نشير هنا إلى أن مصر هى مهد القصة القصيرة فى العالم وإن كانت أكثر القصص القصيرة مطعمة بالخوارق والأحداث غير الطبيعية .

وتتمثل القيمة الأدبية الكبرى فى القصص الواقعية ، وقد وصل إلينا منها ثلاث قصص هى الفلاح الفصيح ، وسنوهيت ، وسياحة ونأمون : الأولى عبرت عن فترة من الفساد الإدارى فى مصر ، والثانية عن الإضطراب السياسى الداخلى ، والثالثة عن ضعف سلطان مصر ، الخارجى على البلاد التى كانت تحت سيطرتها فى الشام ، وكلها تقع فى مرحلة الدولة الوسطى من تاريخ مصر ، والواقع أن القصة بطبيعتها - حتى ما كان فيها ذا طابع فكاهى لا تقوم ولا تحيا إلا على المشكلات والمحن والأزمات ..

نعم .. القيمة الأدبية الكبرى هى لهذا القصص الذى صور الواقع تصوير دقيقا جميلا مؤثرا .. وهذه القصص الثلاث يتمثل فيها الفن القصصى الحق بكل عناصره من شخصيات واحداث وحوار وتصوير حى دقيق للحالات النفسية بحيث يمكن أن يقال إن القصة الأدبية بالمعنى الحديث ليست شيئا جديدا على

الإطلاق ، إنما هى انبعاث للفن القصصى المصرى القديم الذى عثرنا منه حتى الآن على هذه القصص الواقعية الثلاث .

لقد مرت بنا قصتا الفلاح الفصح وسنوهيت أثناء عرضنا للمضمون فى الأدب المصرى القديم فى معرض التدليل على أن مصر كانت هى الحب الوحيد الذى تعذب من أجله القلب المصرى ، أما قصة ونأمون فتتمثل فى رحلة أكبر موظفى معبد الكرنك لاستجلاب الأخشاب الخاصة بالسفينة المعظمة لآمون رع ملك الآلهة والمعروفه باسم وسرحات آمون ، وتصور القصة مختلف المصاعب والأهوال التى واجهت هذا الموظف فى رحلته تلك وهى تتمثل فى سرقة أحد رجاله المصريين ما كان بجوزته من ذهب وفضة وفراره ، واستيلائه هو على كيس من الذهب من الزكاريين تعويضا عما سرق منه كما أشار عليه بعضهم ، وبذلك خلق له اعداء من أهل ذاكار ، وبعد حوار طويل مع أمير جبيل وافق الأخير على أن يعطية الخشب اللازم لبناء السفينة المقدسة ، وبعد أن يتم قطع الأخشاب وتحملة سفينته يأتى أهل زاكار راغبين فى الانتقام من ون آمون لما أخذه من أموالهم ، وقد رغب الأمير الا يقتل الزكاريون الموظف المصرى فى بلاده ، فإذا شاءوا أن يفعلوا ذلك فليكن بعيدا عن أرضه ، وهكذا رحل ون آمون حيث لجأ إلى ملكة أرسا أو قبرص ، وهنا تتكسر ورقة البردية إلا إن كتابة ونآمون لهذه القصة تؤكد أنه عاد سالما إلى أرض مصر .

وهذه القصة من قصص الدولة الحديثة نرى مصر فيها وقد تقلص نفوذها الفعلى على فتوحاتها فى الشام ، ولم يبق إلا ظل رقيق من سلطانها الأدبى والمعنوى والدينى ، فأمير جبيل يبدى احترامه لديانه آمون رع ، ويبدى كذلك تقديره لمكانة مصر الحضارية إذ يقول لونامون : " تأمل إن آمون يرعد فى

السماء ، ويجعل سونخ يثور فى وقته (وسونخ هو إله العاصفة الأسيوى الأصل) لأن آمون قد أمد كل البلاد ، وقد أمدهم كما امد مصر التى اتيت منها ، فقد أمدها أولا ، لأن الشغل الدقيق قد أتى منها إلى مقرى ، وكذلك التعليم أتى منها إلى مقرى لكنه يبدى شيئا من الاستخفاف بسلطان مصر حين يقول له فما هذه السياحات الصبيانية التى جعلوك تقوم بها ؟ وعندئذ يذكره ونآمون بعظمة آمون رع وأنه رب كل سفينه وأنه والبحر ولبنان ملك لآمون ، وأنه إذا كان ملوك مصر السابقين قد أرسلوا إلى آبائه الذهب والفضة فلأنهم لم يقدموا لهم الحياة والصحة اللذان يقدمان له الآن ، ومع هذا فإن الأمير لم يسمح له بالخشب اللازم للسفينه الا بعد أن تسلم هدايا من الذهب والفضة وملابس الكتان الملكى والبردى وجلود الثيران وجوالق العدس وسلال السمك بعد أن ذهب رسوله إلى مصر .

وتحتوى القصة على تصوير حى بديع للمواقف فى مثل قول ونآمون الذى يصف مقابلته لأمير جبيل بقوله :

" فوجدته قاعدا فى حجرته العليا ، وظهره متكئ على النافذة وأمواج بحر سوريا العظيم تتلاطم من خلفه " وهناك ذلك التصوير الرائع لحنين المصرى إلى وطنه حين يكون بعيدا عنه ، فبعد أن تم حزم الخشب على سفينته التى ستعود به إلى أرض الوطن إذا بإحدى سفن أهل زاكار تأتى حاملة أمرا بأن يأخذوه سجينا ولا يسمحوا لسفينة له أن تذهب إلى أرض مصر . وحين يسأله بعضهم عما يؤله ، يجيب قائلا : لا ريب أنك ترى الطيور التى تذهب إلى مصر للمرة الثانية . انظر إليها إنها تذهب إلى البرك الباردة ، ولكن إلى أى وقت سأترك هنا ؟ ولا شك أنك ترى هؤلاء الذين أتو ثانية ليأخذونى سجينا » فنحن فى الحق

مع هذه القصة ومع قصتى سنوهى والفلاح الفصيح أمام أعمال أدبية بالغة الروعة ، متكاملة العناصر الفنية ، وهذا الحكم نصل إليه من خلال تطبيق التعريف الواضح المحدد الذى اوردناه سابقا للفن القصصى باعتبار القصة لوحة زمنية مرسومة للحياة ، وانت تقرأ القصص الحديثة الناجحة فلا تجد فارقا بينها وبين هذه القصص ذات الأطوال المتوسطة ، فالشخصيات والأحداث وترابطها المنطقى ، والحوار ، وتصوير الجوانب النفسية ، كلها عناصر الفن القصصى الأساسية التى نرى توفرها بشكل متوازن فى هذه الأعمال القصصية .

فإذا جئنا إلى القصة القصيرة فى مصر وجدنا أن مايميز بينها وبين القصة القصيرة بشكلها الحديث إضافة عنصر الخرافة إليها ، بل إن عنصر الخرافة يعد محور هذه القصص ، ومنها القصص التى يقال إن الملك خوفو سمعها من أولاده حين جمعهم وطلب من كل منهم أن يقص عليه قصة غريبة عن السحر ومعجزاته فى سالف الأزمان ، وهى من قصص الدولة الوسطى ، فقص عليه الأمير حردادف قصة الساحر جدى الطاعن فى السن الذى يستطيع أن يرد رأس أوزة مفصولة من جسمها إليها بواسطة تعاويذ يرتلها وتذكر القصة أن الملك خوفو أرسل إلى هذا الساحر ، وأنه رأى أعاجيبه بنفسه ، وما رواه الأمير خفرع من أن زوجة وباونر رئيس المرتلين فى معبد بتاح فى منف خانت زوجها بوقوعها فى هوى أحد سكان المدن ، وأنها التقت به فى منزل زوجها المشرف على أحدىالبحيرات ، وأن وباونر صنع تمساحا من الشمع التهم الرجل ، كما أشعل النار فى زوجه والقى برمادها فى النهر ، وقص عليه الأمير بوفرع أن الملك سنفرو أشار عليه رئيس المرتلين بأن ما سيذهب عن نفسه الحزن هو أن يبحر فى قارب مع عشرين من عذارى قصره يمتع عينه برؤيتهن وهن يجدفن ، وأن حلية فى رأس رئيسة المجدفات سقطت منها فى النهر ، وأصرت على الحصول عليها ، فقرأ رئيس المرتلين – الذى استدعاه الملك لهذا الغرض – تعويذة انفلق لها الماء شطرين ووجد الحلية قد سقطت على قطعة من الخزف ، ثم تلا تعويذة أخرى عاد بها ماء النهر كما كان .

وهناك قصة الأمير المسحور ومفادها أن ملك مصر الذى أنجب ذكرا بعد

أن حرم ذلك سنوات طويلة بلغه أن ابنه سيقضى عليه تمساح أو حية أو كلب فرباه فى الصحراء فى حص حصين حتى كبر واشتاق إلى أن يكون حرا ، وذهب إلى سوريا وكان لملكها بنت جميلة جعل مهرها أن يقفز طالب الزواج إلى شرفتها التى تعلو عن الأرض ستة وخمسين ذراعا ، وأخفق فى ذلك كل امراء سوريا ، ونجح الشاب المصرى وتزوج منها ، ولكن وافاه أجله وفقا للنبوءة السابقة .

وهناك قصة الأخوين وكان أحدهما وهو أنوبـيس متزوجا ، وكان يساعده فى زراعة أرضه أخوه الأصغر الأعزب باتا ، وراودت زوجة انوبيس باتا عن نفسه فاستعصم ، فخشيت أن يبلغ الأمر زوجها فزعمت لزوجها أن باتا قد راودها عن نفسها ، وأخبرت إحدى البقرات باتا بما دبرت له زوجة اخيه ، وعزم أخيه على قتله ، ففر ولحق به أخوه حتى فصل النهر بينهما وعندئذ أقدم باتا على قطع عضو العفة فيه إثباتا لبراءته ، وعاد أنوبيس إلى زوجته فقتلها ، وتوغل القصة بعد ذلك فى الخرافة زاعمة أن باتا رحل إلى وادى الأرز وصارت له زوجة خانته مع فرعون مصر بعد أن وصلت خصلة من شعرها إلى مصر على موج البحر ، ولما كان قلب باتا معلقا بشجرة فقد أغرت الزوجة فرعون بقطع هذه الشجرة ليموت باتا وبعد عدة أحداث خرافية يصبح باتا ملكا لمصر وينـتقم من زوجته بقتلها .

وهذه القصص هى من نتاج الدولة الوسطى والحديثة ونلاحظ أنها تخاطب عقول العامة ، وتستهدف إمتاع العقل الشعبى برواية الأحداث الخارقة لنواميس الطبيعة ، وهناك قصة الشجار بين الرأس والجسم وقصة إعماء الصدق من جانب الكذب والانتقام له .

أبطال من الآلهة :

ومن قصص البشر إلى قصص الآلهة أو إلى الأساطير الدينية وهى قليلة فى أدب مصر القديمة ، واشهرها قصة الصراع بين حور وست ، وذلك أن ست أقدم على قتل أخية أوزير فى غمرة الصراع بينهما على عرش مصر ولكن إيزيس استطاعت أن تجعل الحياة تدب ثانية فى جسم أوزير ، إلا أنه فضل أن يهبط إلى العالم السفلى أو مملكة الموت ويصبح ملكا لها ، وانتقل الصراع إلى حور ابن اوزير وعمه ست الإله الشرير ، فتحاكما إلى محكمة الآلهة التى كان يرأسها الاله رع ، وكان رع يقف إلى جانب ست خشية بطشه وجبروته مع إيمانه بأن الحق فى جانب ابن أخيه حور ، واستطاعت إيزيس التى سحرت نفسها امرأة جميلة أن تنزع من فم ست اعترافا ضمنيا بحق ابنها حور فى وراثة عرش مصر ، إذ أدعت له أن زوجها راعى الماشية قد توفى تاركا ابنها الصغير الذى نازعه على ملكية الماشية دخيل متطفل فأبدى لها ست تأييده لحق ابنها فى ملكية الماشية دون هذا المتطفل المدعى ، وعندئذ وجد الإله رع فى اعترافة ما ساعده هو ومجلس الآلهة القضاة على رد الحق إلى حور الوارث الشرعى للعرش ، وخاصة بعد أن هدد أوزير نفسه مجلس الآلهة .

وهكذا يكون أبطال هذه القصة من الآلهة وحدهم ، وتضاف هذه القصة إلى مجموعة القصص الأسطورية التى كانت تكتب للعامة فى عصر الدولة الوسطى والحديثة وخاصة بعد انهيار الدولة القديمة التى تمت فيها أهم الانجازات الكبرى فى تاريخ مصر الطويل ، وتعد هذه القصة وأمثالها من نماذج القصص التى

كانت تروى للعامة . وقد لاحظ د. سليم حسن فى أسلوبها البساطة التى انحطت إلى حد الابتذال والتعبير بلغة العامة ويذكر أن هذا هو عين مانجده فى أساليب الدولة الحديثة .

وهناك من هذا النوع قصة إيزيس واله الشمس رع ، وذلك أن رع كان قد وصل إلى الشيخوخة وضعفها ، واستطاعت إيزيس أن تجعل ثعبانا ضخما سوته أن ينفث السم فى جسمه ، وجاءت إليه مع من جاءوا يعودونه من الآلهة وذكرت له أنها إذا عرفت اسمه الحقيقى فإنه يمكنها أن تخرج السم من جسمه وبعد أن أخبرها باسمه الحقيقى أمرت ايزيس الساحرة العظيمة أميرة الآلهة السائل السام أن يخرج من جسم الإله رع لأنه قد باح أمامها باسمه !

هذه القصص القصيرة الخرافية فى معظمها ، وهذه الأساطير التى يكون أبطالها عادة من الآلهة هى كما ذكرنا من إنتاج الدولتين الوسطى والحديثة يمكننا أن نعتبرها من الأدب الشعبى استنادا إلى طبيعة التفكير فيها من ناحية وأسلوبها البسيط المائل نحو العامية من ناحية أخرى ، والملفت للنظر أن هذا النوع الشعبى من الأدب لا يعكس احتراما كبيرا من المصريين للآلهة ، لأنه يصور مافيها من نقائص وضعف وصراع وشهوة ، فحتى إله الشمس تعرضه هذه الأساطير بصورة المسن الضعيف الذى تتمكن أميرة الآلهه إيزيس من تسريب السم داخل جسمه ، وتراه وهو يتوجع ويعانى ، بل تدعو ابنها حور إلى إن يجعله ضعيفا أمامها ، وهذا الإله الذى جعله اخناتون الإله الوحيد المنفرد بكل سلطان بعد أن كان كبير الآلهةورئيسها فقط فى عبادة آمون ، هذا الإله يبدو خائفا من بطش ست إله الحرب والشر ولا يعترف بالحق الشرعى لحور فى وراثة عرش مصر إلابعد أن تجعله إيزيس بحيلتها السحرية يعترف بهذا الحق ضمنا .

. . . . وأخيرا

عن طريق التقسيمات التى قدمتها للأدب المصرى القديم فى هذا البحث أرجو أن تكون صورته الكلية قد أصبحت اكثر وضوحا ، تمهيدا لمرحلة هامة هى الدراسة التفصلية للنصوص المختلفة .

لقد احتوى المضمون كما عالجته هنا وفقا للرسم البيانى فى أوله على الموضوع الرئيس فى الأدب المصرى القديم وهو حب المصرى للحياة فى بلده وولده ، وفى مصدر الحياة نفسها ممثلا فى الشمس المشرقة ، واحتوى الشكل على درس للشعر وللقصة ذكرنا فيه الخصائص الفنية الأساسية فى كل من هذين الفنين الرئيسيين فى الأدب ومن أكثر النتائج مدعاة للدهشة أن النزعة الدينية هى مجرد استمرار لعشق المصرى للحياة فى مصر وأن حب المصرى واهتمامه بالحياة الدنيا اكبر وأعمق مما كنا نظن وقد حمل هذا الأدب شكا فى الحياة الآخرة ، كما حمل استخفافا بالآلهة وعلى رأسهم رع كبير الآلهة فى ديانه آمون والاله الواحد الذى لا إله معه فى ديانه اخناتون ، فهو كما رأينا يظهر مسنا ضعيفا يمكن للآلهة الآخرى كإيزيس أن تهدد وجوده كما يظهر خائفا من غيره من الآلهة كالاله ست إله الحرب . ومن أهم النتائج كذلك أن عذاب الحب قد تعلق بمصر وليس بالمراة كما فى الآداب الأخرى ، وهناك ظهور عناصر الفن الشعرى متفرقة فى الشعر المصرى القديم من إيقاع حركة دورية ممثلة فى كلمات معينه تتكرر ، وكذلك فى انعطاف الجملة الثانية نحو الجملة الأولى .

هذه هى أبرز نتائج هذه الجولة " السياحية " فى أدب مصر القديمة . إنها كما نرى جوله استطلاعية إلا أن اهم مايميزها عن الجولات السابقة لاخواننا

المؤرخين جزاهم الله خيرًا تلك الخريطة التفريعية التى اثبتّها فى أول هذا البحث والتى أرجو أن تكون قد جعلت ادركنا لهذا الأدب اقرب إلى النظام والتى ارجو إن تكون تمهيداً لدرسٍ أعمق لنصوص هذا الأدب ، فهو أدب على جانب عظيم حقامن القيمة ومن المؤسف ألا ينال حظه حتى الآن فى المدارس والجامعات المصرية ، والا يعرف عنه أحفاد الفراعين العظام شيئا ، أو لا يكادون يعرف بعضهم عنه إلا النزر اليسير.

رقم الإيداع	٩١/٩٦٨٥
I.S.B.N. 977/00/2699/9	

مكتب مشرف طنطـــا